



محاضرات في علم اللغة العام

إعداد

دكتورة | منى محمد شحات

دكتورة | ليلى الطاهر

العام الجامعي ٢٠٢٤-٢٠٢٥ م

بيانات الكتاب

الكلية: الآداب

القسم: اللغة العربية

الفرقة: الفرقة الأولى

التخصص: لغة عربية

تاريخ النشر: ٢٠٢١-٢٠٢٢م

عدد الصفحات: ١٧٤

المؤلف: د. منى محمد الشحات

الرموز المستخدمة

نص للقراءة والدراسة



أنشطة ومهام



أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي



فيديو للمشاهدة



رابط خارجي



تواصل عبر مؤتمر الفيديو



إهداء
إلى أستاذي
أ.د/ البدراوي زهران
وفاءً وتقديراً وإجلالاً

منى محمدالشحات

محتويات الكتاب

الموضوع

المقدمة

الفصل الأول: اللغة

الفصل الثاني: اللغويات - اللسانيات - علم اللغة

الفصل الثالث: علم اللغة وفقه اللغة

الفصل الرابع: نظريات نشأة اللغة

الفصل الخامس: علم الدلالة

الفصل السادس: علم اللهجات

الفصل السابع: تاريخ الدراسات اللغوية

الفصل الثامن: المقصود بالمنهج العلمى فى الدراسات اللغوية

الفصل التاسع: اللحن فى اللغة

الفصل العاشر: اللغة العربية وتحديات الهوية

المصادر والمراجع

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة العربية بالنسبة إلي الفرد هي وسيلة للتعبير عن مشاعره وعواطفه وإحساساته وما ينشأ في ذهنه من أفكار ويعد هذا التعبير من أظهر الفوارق بين الانسان وغيره من الأحياء. والأمم كلما ارتقت زاد اعتمادها على اللغة, وليس أدل على ذلك من أن الكتب والصحف وسائر المواد المكتوبة تكون أكثر كمية وتنوعاً في الأمم الراقية منها في الأمة المختلة. كما (أن العمل على نشأة اللغة المشتركة للشعب وتتميتها ونشرها في كل الأوساط والبيئات خير ضمان لكل قومية, ولتماسكها وقوتها) ^(١). " فاللغة هي القومية , أو القومية هي اللغة". والصوت هو أساس اللغة, وتعتبر دراسة الأصوات اللغوية علماً عريقاً في علوم العربية نشأ بنشأة النحو وتطوره , وتأثر بها في نشأته الأولى وفي مراحلها المتتالية, فاتسم بسماته لأنه كان واحد من عناصره المكونة له.

فقد كانت دراسة الأصوات وسيلة من وسائل فهم بنية الكلمة وما يلحقها من العوارض كالقلب والإبدال والإدغام والتضعيف, كما توصل النحاة بدراسة الأصوات إلى بنية تركيبية في بعض الجمل عند الوصل والفصل, ومثلما بدأت النظرية النحوية شبه مكتملة في كتاب (الكتاب) ^(٢) فإن وصف النظام الصوتي للغة العربية بدأ مكتملاً عند أوائل النحاة ^(٣) مثل: سيبويه والخليل وغيرهما. وزاد ثراء الدراسة الصوتية ثراءً عظيماً عندما استعملت في فهم القراءات القرآنية وتنوعها واختلافها, فتضاعفت الملاحظات اللطيفة وتراكمت الإشارات الدقيقة إلى سمات الأصوات وإلى قوانين إئتلافها واختلافها وطرق تحققها في درجة الكلام.

ولأن كان النحاة قد زهدوا في دراسة الأصوات دراسة أعمق مما تم على يد سيبويه والخليل سبب انصرافهم إلى الكشف عن النظام النحوي وقوانينه التركيبية, فإن علماء القراءات قد اضطلعوا بفحص

(١) اللغة بين القومية والعالمية: د. إبراهيم أنيس, ص ٧.

(٢) المقصود كتاب "الكتاب" لسيبويه والذي قيل فيه" من أراد أن يصنع كتاباً في النحو بعد سيبويه فليستح.

(٣) من كتب التراث التي حوت فصولاً في الدراسة الصوتية..

١-كتاب "الكتاب" لسيبويه.

٢- كتاب "العين" معجم الخليل بن أحمد, ودراسته الأصوات وموسيقى اللغة ووضع القوانين لعلم العروض.

٣- سر صناعة الاعراب ابن جني.

٤- أسباب حدوث الحروف ابن سينا.

٥- المفصل في النحو الزمخشري.

٦- مفتاح العلوم للسكاكي.

ودراسة الأصوات العربية وما تتسم به من السمات لحين ما كان يتوفر لديهم من خلال التحليل والمقابلة والمقارنة إلا أن علم دراسة الأصوات أصيب فى فترة ما بما أصيبت به الدراسات اللغوية من غلبة التكرار والترديد وقلة الإضافات أو انعدامها، ولقد كان من تبعات انتشار المناهج اللسانية الحديثة فى تحليل اللغة أن احتلت الدراسة الصوتية مكانتها ضمن المستويات التي تتناول بين الظاهرة اللغوية المعقدة من جهة أنه كلام أو من جهة أنها لغة.

على أن العنصر الأساسي فى تزايد الاهتمام بالصوتيات هو ما يشهده عصرنا من التطور تفكيراً ومنهجاً، ولما كان هدف اللسانيات هو دراسة اللغة من جهة إنها نظام معقد من العلامات يحقق وظيفة أساسية وهى التواصل، وجب على الباحثين تفكيك هذا النظام إلى مستويات فى التحليل وهى:-

- المستوى الصوتي.
- المستوى التركيبي.
- المستوى الصرفي.
- المستوى الدلالي.
- المستوى المعجمي.

ولما كان علم الأصوات اللغوية يتفرع إلى فرعين :-

الأول : علم الأصوات (phonetics) الذي يدرس الأصوات المفردة.

الثاني : علم وظائف الأصوات (phonology) الذي يدرس الأصوات فى درج الكلام.

ولما كانت الدراسة العلمية المنظمة تقتضى تغطية الفرعين بالدراسة والبحث فقد تناولنا مباحث متشعبة تنتمي إلى فرعي علم الأصوات محاولين ألا نخلط بين الفرعين وأن نلتزم فى الدراسة بحدود كل فرع. وأن التجربة على البحث لتوقفنا على حقيقة ما ذكره العماد الأصفهاني حين قال : (إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا فى يومه إلا قال فى غده: لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا كان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر).

فالكمال لله وحده وحسبنا بذل الجهد ما استطعنا

" واتقوا الله يعلمكم الله "

د. منى محمد شحات

كلية الآداب بقنا

إن الهدف الأساسي للتعليم الجامعي ليس هو تخريج المدرسين أو المهنيين وحسب، وإنما هو تخريج باحثين أكاديميين يمتلكون الوسائل العلمية لإثراء المعرفة الإنسانية، بما يقدمونه من مشاركات جادة في مجالات تخصصهم، ويتحلون بالأخلاق السامية التي هي عدة الباحث في هذا الميدان مثل : الصبر ، والمثابرة، والأمانة، والصدق، والإخلاص.

المقصود بالعلم :

يعرف العلم بأنه نشاط إنساني موجه إلي وصف الظواهر وتصنيفها في أنواع ويهدف إلى زيادة قدرة الإنسان في السيطرة على الطبيعة. حيث ازدادت معارف الإنسان وزادت معها قدرته على فهم الظواهر الطبيعية وبالتالي زادت قدرته على ضبطها والتحكم بها.

والعلم لا يقتصر على هذا الهدف فقط بل يحاول اكتشاف العلاقات بين الظواهر المختلفة، فظواهر الكون عديدة ومتشابهة؛ ولذلك لجأ العلماء إلى تقسيمها في مجموعات لتسهيل دراستها.

قيمة العلم

ما دام الإنسان يؤدي رسالة الخلافة على الأرض التي أَرادها الله له ويسعى حثيثاً لكشف المخبوء من قوانين الكون، وأسرار الحياة ، طلباً للعلم والمعرفة، والبحث العلمي ، والسعى وراء اكتساب المعارف من أعظم الوسائل للرفي الفكري والمادي، كما أنه المؤكد للكرامة والفضل اللذين منحهما الله- عز وجل- للإنسان من بين مخلوقاته، ولكي يتحقق هذا الهدف سخر الله للإنسان كل ما في الوجود، يسعى في مناكب الأرض، ويسبح في أجواء الفضاء، ويغوص في أعماق البحار وقد صدق رب العالمين إذ قال في القرآن الكريم " هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر آية ٩)، ويقول سبحانه وتعالى " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلمَ دَرَجَاتٍ" (المجادلة آية ١١)، ويقول جل شأنه: " إنما يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (فاطر آية ٢٨).

ويقول النبي(صلى الله عليه وسلم): " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة" , وما دام الإنسان يسعى وراء المعارف يتسع أفقه وتتمو مداركه, وتتعاظم خبراته, فإذا ظن الإنسان أنه قد وصل إلى درجة كافية من العلم والبحث, هنا يبدأ مرحلة جديدة يتورط فيها في ظلمات الجهالة وقد أصبحت الحكمة القديمة التي تقول: " إن المرء ليعلم ما دام يطلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل", وقد جاء في كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي: " تعلموا العلم: فإن كنتم سادة فقتم, وإن كنتم وسطاً سدتم, وإن كنتم سوقة عشتم" , وقد أحسن من قال: " من أمضى يومه في غير حق قضاؤه, أو فرض أدائه, أو مجد أثله, أو علم حصله, فقد عرق يومه, وظلم نفسه" .

الفصل الأول

اللغة

(تعريفها , وأصلها ونشأتها , وظائفها , مستويات تحليلها - مناهجها)

أولاً: اللغة، مفهومها، ووظائفها.

 مفهوم مصطلح [اللغة] لغة، واصطلاحًا:

 هل كلمة (لغة) عربية أصيلة، أم مُعرّبة؟

ذكر أهل اللغة، وأصحاب المعجمات أنّ كلمة [لغة] عربية، أصيلة، مُشتقة من

الفعل [لغى/ يلغى/ لغة]، والجمع: لغات، وعلى هذا فإن كلمة اللغة، واشتقاقاتها تدور حول

معنى الأصوات الإنسانيّة، وعليه فإن (علم اللغة)، أو (فقه اللغة) يعنى: فهم الأصوات،

وإدراك خصائصها، وهو العلم الذى يتناول مفردات اللغة، وتراكيبها، وخصائصها،

والأطوار التى مرت به.

• وقيل أن (لغة): مشتقة من الفعل: [لغا/ يلغو/ لغوا]، أى:

تكلّم، والأصل: لُغُوَة: بضمّ ، فسكون، على وزن: فُعْلَة، ثمّ حذف لام الكلمة، و عوض عنه

بالتاء المربّوطة، فصارت: لُغَة، وقيل: لُغَة مُعرّبة من الكلمة الإغريقيّة [logs]، وعربها

العرب إلى [لوغوس]، بمعنى : الكلام واللُغَة؛ وذلك لوجود تشابه كبير بين الكلمة العربيّة

[لوغوس] ، والكلمة الأغرقيّة [logs].

جاء التعبير القرآني بلفظ [لِسَان] ثمان مرّات، ولمّ تأتِ لفظة [لُغَة] فى القرآن الكريم

ولو مرّة واحدة، كما فى قوله تعالى: "وما أرسلنا من رُسولٍ إلّا بِلِسَانِ قومِهِ" وقوله

تعالى: "بِلِسَانٍ عربِيٍّ مُبينٍ"

وذلك للأسباب الآتية:

أ . وجود تشابه كبير بين الكلمة العربيّة والكلمة الأغرقيّة.

ب- تعبير القرآن بلفظ(لسان)نحو ثمانى مرات، وليس بلفظ لغة، كما فى قوله تعالى:

(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) إبراهيم ٤ ، أى : بلغة قومه ، ومنه قوله

تعالى :

(بلسانٍ عربيٍّ مبين) على حين أن لفظ اللغة لم يرد فى القرآن الكريم ولو مرة واحدة؛ ممّا

يرجح سبق اللسان للغة فى الاستعمال العربى القديم.

ج-عدم ورودها فى الشّعْر الجاهلي، أو فى الأدب العربى المنثور قبل عصر الترجمة من

الأغرقيّة أى : أن كلمة(لغة) لم ترد مستعملة فى كلام عربى يعتد به، ولم يستعملها

العرب فى كلامهم، وإنما كانوا كغيرهم من الأمم السّامية، بل كأكثر أمم الأرض يستعملون

كلمة(لسان) للدلالة على اللغة

-اللغة عند علماء اللُّغة، والاجتماع، والنفس، والمنطق، والفلسفة:

لم يقتصر الاهتمام باللغة على علمائها، بل إن هناك علماء غيرهم كثيرين، اهتموا

باللغة لاتصالها بقضاياهم العلميّة، ومنهم علماء الطبيعة، والتشريح، والرياضة، والتاريخ،

وعلم النفس، والمنطق، والفلسفة، والاجتماع، وغيرهم قديماً وحديثاً، ومن ثم فقد خصّها الباحثون والدارسون، بالاهتمام والدراسة؛ لذا فسنعرض لمفهومها، وبيان حقيقتها.

فمن تعريفات علماء اللغة:

- تعريف ابن جنّي (ت: ٣٩٢ هـ) "بأنها" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، ويشمل هذا التعريف مادة اللغة (طبيعتها)؛ فهي رموز صوتية أحلها الإنسان بموهبته الخلاقة محل الخواطر والأفكار؛ وذلك لأن الرمزية هي العمل الأساسي في الفكر الإنساني، كما يشمل عرفية اللفظ، ويشمل اجتماعية اللغة، حيث تنشأ اللغة بالمجتمع وتحيا به، كالنبات يحي، ويثمر تبعاً للترب، ويشمل وظيفة اللغة في أنها أداة للتعبير عن أغراض أفراد المجتمع والجماعة، وقد نقل السيوطي، وابن منظور، والشريف الرضي، وابن خلدون هذا التعريف، وهذا التعريف يتفق مع الدرس اللغوي الحديث الذي رأى أن اللغة أصوات، وحددتها دائرة المعارف البريطانية والأمريكية بأنها "نظام من الرموز الصوتية، أي أنها هيئة، أو شكل، أو تركيبية خاصة تتفق عليها الجماعة اللغوية المعيّنة. فاللغة: أداة للتعبير عن الأغراض، والأفكار العقلية، والعواطف، والمعاني النفسية، والرغبات، والمطالب الحيوية، والاحتياجات الإنسانية؛ فهي وسيلة التفاهم المعبرة عن أفكاره، واحتياجاته "والأغراض هي المعاني، والدلالات التي يتناقلها الناس، ويعبرون عنها

بالأصوات، والألفاظ؛ فهي وسيلة للتعبير عن الأغراض الكلامية ولما كانت اللغة تتكون من دلالات، وألفاظ حظيت بجانب كبير من عناية العلماء، فنجدهم درسوا هذه الألفاظ ودلالاتها، فدرسوا الكلمة منفردة، وموقعها في الجملة، ومعناها عند تقدمها أو تأخرها.

- ويعرفها الدكتور / إبراهيم أنيس بأنها "نظام عرفي لرموز صوتية (الأصوات) يستعملها الناس في الاتصال بعضهم ببعض".

- وعرفها "دوسوسير" السويسري بأنها "حصيلة اجتماعية لملكة الكلام، ومجموعة من الأعراف التي أقرها المجتمع، وبأنها"دراسة اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها أي دراسة اللغة التي يتحدث بها الناس بالفعل دون تغيير من طبيعتها، ونظمها، دراسة موضوعية؛ للكشف، والوصول إلى حقيقتها دون تصحيح أو تعديل أو تقويم؛ لأنها ليست من مهام الباحث.

- وعرفها سابير الأمريكي بأنها "وسيلة، إنسانية، خالصة؛ لتوصيل الأفكار، والعواطف، والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية.

- وعرفها (هنرى سويت الانجليزى) بأنها "التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات.

- وعرفها العالم الفرنسي "أنريه مارتينييه" بأنها "أداة اتصال يحل بها الإنسان، ويبرز تجاربه في وحدات كلامية ذات مظهر صوتي، ومحتوى دلالي.

- وعرفها المحدثون بأنها "رموز، أو علامات صوتية اصطلاحية، تستعملها الجماعات الإنسانية في التعبير عن المعاني، وغيرها من شؤون الحياة".

- وقيل: أن اللغة وعاء للأفكار العقلية، أو المعاني النفسية، ووسيلة للتعبير عن مطالب الإنسان الحيوية.

- لذا نعتبر تعريف ابن جنّي تعريفاً دقيقاً، وافياً، مشتملاً على حقائق شتى، منها: أن اللغة أصوات، إنسانية، إرادية، وظاهرة اجتماعية ذات وظيفة اجتماعية؛ لأنها تنمو في أحضان المجتمع، ويعبر بها كل قوم عن أغراضهم المادية، والمعنوية، كل ذلك جعل ابن جنّي في مقدمة العلماء الباحثين عن اللغة وقضاياها المختلفة.

وأن هذا التعريف يتفق مع تعريفات المحدثين للغة؛ حيث إنهم عرفوا اللغة تعريفاً قريباً من تعريف ابن جنّي... ولقد أحسّ الدارسون للحضارات بأهمية اللغة لفهم الثقافة؛ وذلك لأن أي نظام لغوي يعبر عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها، ولنفسها، وإذا لم يكن

هذا التعبير كاملاً، ومن ثمّ فلا يستطيع أن يفهم حضارة ما حقّ الفهم من يجهل وسيلتها اللغوية في التعبير.

- اللغة وعلماء الفلسفة والمنطق:

- يرى الفلاسفة والمناطقة، وعلى رأسهم "جفونز" أن اللغة وسيلة لتوصيل الأفكار، والعواطف، والرغبات، وأنها مساعد آلي للتفكير، وأنها أداة للتسجيل والرجوع، وأراد بذلك لغة الكتابة؛ لأن الشخص يكتب، ويسجل أفكاره، وآراءه، ثم يرجع إلى ما سجل وقت الحاجة إليه.

. وفي فهم ذلك صعوبة؛ فاللغة ليست مستودعاً للفكر المنعكس، أو وسيلة لتجسيم الفكر؛ فاللغة وسيلة للتفاهم بين أفراد المجتمع، وتوصيل الأفكار، وحلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، أي أن اللغة جزء من السلوك الإنساني، كما أن استعمال اللغة قد يكون للتسلية، أو الترفيه، أو النظر في أمور تخصّهم في إدارة أعمالهم، وشئونهم، وهذه الأشياء لا تدخل ضمن تعريفهم؛ فاللغة لا تستعمل للتعبير عن الأفكار بقدر ما هي وسيلة للتعاون، والترابط الاجتماعي، كقولك للشخص: "كل عام وأنتم بخير"، و"كيف حالك"؟، فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين، وإنشاء علاقة اجتماعية بينها.

اللغة هي ظاهرة عقلية عضوية نفسية اجتماعية تميزه عن غيره من الكائنات الحية، وتتألف بنية هذه الظاهرة من أصوات تنظم في كلمات تكون الجمل؛ لتؤدي الدلالات المختلفة.

واللغة: وعاء التجارب الشعبية، والعادات والتقاليد، والعقائد التي تتوارثها الأجيال، وهي سجل تاريخ الشعب، ترتقى برقيته، وتنحط بانحطاطه؛ لأنها ظاهرة اجتماعية تنمو في أحضان المجتمع وترتبط بين أفرادها، وتجعل منه وحدة متماسكة في عاداته، ومعاملاته.

والواقع أنه لا توجد لغة بدون وجود مجتمع، ولا توجد لغة منفصلة عن جماعة إنسانية تستخدمها وتتعامل بها في علاقاتها وعاداتها فهي حدّ فاصل بين [شعب وشعب]، و [أمة، وأمة]، و [حضارة وحضارة]؛ فهي ظاهرة اجتماعية مكتسبة تنمو وتتطور مع المجتمع، وتؤثر فيه قوة، وضعفاً بقدر ما هي وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي، كقولك لشخص: [كلّ عام وأنتم بخير]، وكيف حالك؟

فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين، وإنشاء علاقة اجتماعية بينها.

-وعرفها علماء الاجتماع بأنها "نظام من رموز عرفية، يتعامل عن طريقها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة، وهي الأداة الرابطة بين أفراد المجتمع، ووسيلة التفاهم

المعبرة عن أفكاره واحتياجاته ، وتجعل منه وحدة متماسكة ، وهى وعاء التجارب الشعبىة ،
والعادات ، والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحداً بعد الآخر .

اللغة ظاهرة: إنسانية اجتماعية، مكتسبة من المحيطين بالإنسان، وعرفية تعارفت عليها
الجماعة اللغوية، واللغة رموز تستخدم فى الاتصال، ونقل الأفكار، كالصفير، والحركات،
وصوت مدفع الإفطار، وأجراس الكنائس، وصوت القطارات والسيارات، وإشارات المرور،
والألوان البيضاء: للفرح ، والسوداء للحزن، واللغة متغيرة لعوامل جغرافية، وجنسية،
ونفسية، وتغير ثقافي، وتطور لغوى.

-واللغة المنطوقة أسبق من المكتوبة لحاجة البدائي لها، وينظر إليها عن طريق الفم
والأذن، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضارة والقلم .

والإنسان بطبعه مدنى، محتاج للغة؛ لأن من طبيعته البحث والاستطلاع، ووصف
حقائق الموجودات ووضع القوانين، وتشخيص الظواهر، وألفته بالآخرين واجتماعه بهم،
وتصارعه معهم باعتبار الإنسان أرقى الكائنات المخلوقة بما ميّزه الله من نعمة العقل.

وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرضٍ ما، واسعة أو ضيقة، ثم انتشارها وامتدادها؛ حيث
ينتشرون جغرافياً، كما أنّ الإنسان بطبعه الاعتزاز بلغته يتعصبُ تعصباً قومياً لها، كنقل
الأمويين دواوينهم إلى العربية، وتطهير الألمان للغتهم من الألفاظ الفرنسية الدخيلة.

ولم يكن انتشار اللغة، أو كثرة استعمالها في المحافل الدوليّة دليلاً على رُقِيّتها، بلُ تنتشر اللغة نتيجة للغزو والفتوحات، وسيطرة المُستعمر على هذه البلدان، فتتأثّر الشُّعوب المستعمرة بلغة المُستعمر

[كالفتح العربي لبلاد فارس، ومُصارعة اللغة الفارسيّة]، و[فتح بلاد الشّام، ومُصارعة اللغة الرُّوميّة]، و[فتح مصر، ومُصارعة اللغة القبطيّة]، واقتصار اللغة الأصليّة على أداءِ المراسم، والعبادات في الكنائس، والأديرة.

واللغة أيضاً وسيلة لنقل الأفكار، ووسيلة للهو والتسلية، والبهجة والمتعة والتعبير عن الحزن، والسُّرور، والانفعالات، كما في شرح المدرس للدرس، أو مرافعة المحامي لموكِّله، كما أنّها وسيلة للترابط الدولي والقومي، كجامعة الدول العربيّة، واتّحاد الدول الناطقة بالفرنسيّة.

-واللغة من خصائص الإنسان وحده دون سائر المخلوقات، رغم ما أكدته البحوث العلميّة الحديثة من وجود تفاهم بين الحيوانات، والحشرات، والطيور، كما ورد في القرآن الكريم على لسان النملة والهدد، إلا أن اللغة الإنسانيّة تتميز عن ذلك بأنّها نظام يمنحه العقل لجهاز النطق الإنساني متمثلاً في أعضائه: (كالحنجرة، واللسان، وفراغ الفم، و..)، وهي أعضاء محدودة الحجم، والأوضاع تنتج مجموعة محدودة من الأصوات.

-فقد كان للحيوان الأعجم إشارات، ورموز استخدمها كوسائل للتفاهم بين جماعاتها، وكان للطيور مثلها، ولكن الإنسان هو أرقى هذه الكائنات حيث كان، بما ميزه الله -تعالى- من نعمة العقل، فقد أصدر الأصوات الساذجة، ثم ارتقت وأخذت صوراً وأشكالاً تبعاً للظروف البيئية، والتفكير الإنساني حتى استقرت في هذا الوضع.

- واللغة كالكائن الحي مرت بمراحل متعدّدة، ينبغي أن نسلم بتطور اللغات ونموّها، كما ينبغي أن نسلم بأن كثيراً من اللغات قد ماتت تحت وطأة أقدام الزمن المندفع إلى الأمام بلا توقف.

- وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرض ما، فيكون نموها متوقفاً على مدى سعة، أو ضيق هذه الأرض، وعلى قوّة ونفوذ وقدرات هؤلاء البشر على الانتشار.

فمثلاً اللغة العربيّة: هي لغة تُنسب إلى مجموعة من الناس تسكن منطقة جغرافية معينة، ويسمّى أهلها بالعرب، وتحتل المرتبة السادسة على مستوى العالم من حيث عدد الناطقين بها، وكان من السهل مضاعفة هذا العدد لو أخلص العرب لديهم، وتعصبوا للغتهم كما فعل أسلافهم من جهود مخلصّة؛ لنشر هذا الدين وهذه اللغة، وإلى جانب اللغة العربيّة يوجد في العالم نحو(ثلاثة) آلاف لغة منطوقة، بخلاف اللهجات وكل لغة لها جمهورها المستخدمون لها، ولها مساحتها التي تسود فيها.

- والواقع أن هذه التعريفات السابقة، كتعريف القدماء (ابن جني، وابن خلدون)، وتعريفات

المحدثين

(سابير، ودو سوسير، ود/ إبراهيم أنيس)، قد حددت إلى حدٍ كبيرٍ طبيعةً، وماهيةً اللغة، وأهمَّ خصائصها، فهي جميعها تؤكد أن اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية مكتسبة، في شكل نظام عرفي من الرموز الصوتية ذات المعنى، تستخدم-غالبًا- أداة للاتصال بين أفراد جماعة لغوية معينة.

- اللغة عند علماء الأحياء والتشريح:

. أما عند هؤلاء فقد عدّوها كائنًا عضويًا، وذهب بعضهم إلى أن علم اللغة بذاته علم بيولوجي، وإذا كانت اللغة بما لها من نفوذ قوي، فقد جذبت كلَّ هؤلاء وغيرهم إلى الوقوف أمامها، ومحاولة الإفادة من طبيعتها، ونظمها في ميادين المعرفة المختلفة، فإنها مع كلِّ هذا لم تكشف عن كلِّ أسرارها إلا في دراسة خاصة بها تدرسها بذاتها ولذاتها.

وظائف اللغة

📄-اللغة هي الأداة الفعالة التي تربط بين أفراد المجتمع، وتجعل منه وحدة متماسكة ، فهي المعبرة عن أفكاره واحتياجاته، وهي كل ما يهمله في هذه الحياة، كما أنها الوعاء الذي يحفظ تجارب الأمة، وثقافتها، وتاريخها، وتراثها ونقله عبر الأجيال، فهي ظاهرة إنسانية مكتسبة من المجتمع ذات نظام من وحدات (صوتية وصرفية) لها سمات معينة أو خصائص مشتركة، وتساعد في نقل الخبرة الإنسانية ، والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة؛ لأن اللغة تولد الفكر، فهي أدواته التي تنظمه، وتنقل نتائجه للعقول، والأذهان عبر المسافات الزمنية، والمكانية فتحدث المعرفة التي تحقق آمال الإنسان.

١- يرى " جيفونز" أن اللغة وسيلة للتفاهم، وأداة تساعد على التفكي، وتقوم بتسجيل الأفكار والرجوع إليها، كما أنها تعمل على تحقيق الاتصال أو الترابط بين أفراد المجتمع، فتؤدي إلى تماسكه؛ فهي أسمنت المجتمع، فهي تدبر شئون المجتمع، وتقسيم العمل، وتوزيع الجهد، والمساعدة على إنجاز بعض الأعمال والأنشطة الحيوية التي يؤديها العمال في صورة جماعية كالصيد، والبناء، وأعمال الحفر.

-كما تعد اللغة وسيلة الإنسان للهو والتسلية، ومصدر بهجة ومتعة، وإدخال السرور إلى النفس والتعبير عن الجمال والتأثير في النفوس والقلوب، لما فيها من انسجام صوتي، وواقع غنائي على الأذن، كما تستخدم كمساعد آلي للفكر، تسهل الفكر، وتساعد على نموه، فهو يؤثر في نمو اللغة وتطورها، وهذا أمر واقع، لتفاعل اللغة بالفكر .

-وقيل أن: "اللغة سجل تاريخ الشعب، ترتقى برقيه، وتنحط بانحطاطه"، ومهما تعددت الآراء في تحديد العلاقة بين الفكر واللغة، وتضاربت في أسبقية النشأة لكل منهما، فلن نجد من يستطيع التنبؤ بمصير الفكر والتقدم الإنساني لو لم توجد لغة النطق وأداة الكلام.

- اللغة أحد مقومات الوطن والوطنية: حيث تكون رابطاً قوياً يجمع الشعوب الناطق بلغة واحدة، واللغات المختلفة في الأمة الواحدة، أو الوطن الواحد.

فاللغة جزء من كياننا الروحي، ومعين لثراثنا، وقطعة من تاريخ الأمة، لذا تفرض الدول المستعمرة لغاتها على الشعوب المحتلة، كما فعلت إيطاليا في ليبيا - وفرنسا في تونس والجزائر أثناء استعمارهما، لكن الشعوب المحتلة تتماسك بكيانها "لغتها" حتى أثناء الاستعمار، كما فعلت بولندا عندما احتلتها الإمبراطوريات العظمى في القرن ال ١٨ ، لذا نجد الشعوب المحتلة تركز على مطالبة المستعمر في أن تكون لغاتها في الأمور الرسمية، وفي التاريخ دلالات كثيرة على اعتزاز الشعوب بلغاتها، فقد نقل الأمويون دواوينهم إلى العربية، وسعى الألمان في نهاية القرن ال ١٩ إلى تطهير لغتهم من الألفاظ الفرنسية الدخيلة، كما أبعدت تركيا الألفاظ العربية عن لغتها.

-اللغة وسيلة للترابط الدولي والقومي: تعد جامعة الدول العربية هي جامعة اللغة العربية، وهناك اتحاد الدول الناطقة، ودول الكومنولث، وقيل: للروابط اللغوية بين أمريكا وإنجلترا دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى بجانب الحلفاء.

-اللغة وسيلة للترابط الاجتماعي: اللغة نشاط اجتماعي، يحصل بها على العون والمساعدة، وتقييم الود والألفة بين الناس، ولغة التحيات، والتخاطب، والسؤال عن الحال والصحة، ولغة التأديب، ولغة الكلام، وقد نرى أن الصمت أحياناً في الاجتماعات على أنه مظهر سلوكي عدائي، أو مظهر من مظاهر اختلاف في وجهات النظر.

-اللغة هي محاولة للوصول إلى أعماق شعور الجماهير، والتأثير في الناس وإقناعهم،
ودفعهم إلى عمل سلوكي معين، أو تغيير نمط سلوكي، أي أنها تصنع الرأي العام.

-اللغة وسيلة للتنفيس عن الإحساسات وبخاصة العنيفة منها: قد يستخدم الإنسان اللغة
ناشداً الأشعار الحزينة، باكياً من فقدهم من أحبائه، بقصد التفريغ أو التنفيس عن آلامه
وأحزانه؛ وذلك عندما يخلو إلى نفسه، دون قصد إلى نقل إحساسات أو أفكار معينة.

- اللغة وسيلة للتسلية أحياناً: حيث يقوم الأفراد بالتلاعب بأصواتهم بقصد التلذذ
والسرور، والمعجزة الإلهية في جعله أعضاء النطق آلات موسيقية يجب على الإنسان أن
يداعبها ويلعب بها، لذا فالثرثرة عند المرأة في غير المواقف الرسمية بهجة ومنتعة.

-ومجمل القول في وظائف اللغة في المجتمع نجد أنه بجانب وظيفتها الأساسية التي هي
التواصل بين أفراد المجتمع، هناك وظائف أخرى قد تقل في أهميتها ولكن يجب علينا عدم
نكران وجودها، وهذه الوظائف المتعددة للغة تجعلها من أهم الظواهر أو المؤسسات
الاجتماعية.

وقد قيل: "اللغة أصوات في حروف، وحروف في كلمات، وكلمات في جمل، وجمل في
نحو، ونحو في بيان، والبيان وحدة لا تتجزأ، والإنسان كائن مجتمعي".

" خصائص اللغة الإنسانية "

إن الأشكال المستخدمة في الاتصال لدى الحيوان محدودة للغاية، ومحصورة في غرائزه ورغبات، فاللغة الإنسانية أشكالها متنوعة تبعًا لتجارب ومعارف الإنسان، وأما صيحات الحيوان فتفتقر إلى التأليف أو التركيب والتقسيم؛ وذلك مختلف عن اللغة الإنسانية القادرة على الخلق والابتكار تبعًا للمواقف؛ حيث يستخدم الإنسان لغته وفقًا لقواعد صوتية؛ وصرفية؛ ونحوية معقدة متعارف عليها بين أفراد جماعة.

-اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل أبناء الجنس البشري دون سائر المخلوقات، فالإنسان حيوان ناطق يتميز عن غيره من المخلوقات بأنه وحده القادر على وضع أفكاره في ألفاظ، وممارسة الحياة في جماعة متعاونة ومرتبطة بعمل جماعي.

-اللغة ظاهرة اجتماعية يتبعها أفراد المجتمع، ويستخدمونها في علاقاتهم، وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، فهي نتاج العقل الجمعي.

١- اللغة ظاهرة مكتسبة، أي يتلقاها الإنسان ويتعلمها من المحيطين به، ويرى العلم

الأمريكي

(سكينر) أن اللغة عادة مكتسبة لدى الإنسان، وأن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تمامًا، وبالتدريب المتواصل يتمكن من السيطرة عليها، وللمجتمع دور كبير في صيغ الكلام بالطابع الاجتماعي.

-اللغة عرفية تنشأ من اصطلاح الجماعة اللغوية المعينة، فهي ليست تحكمية مفروضة على المجتمع من خارجه، فمعارف الناس على تسمية الأشياء بأسماء قد تكون مختلفة عند أناس، والقول بعرفية اللغة لا يحول دون الاعتراف بما بين أفراد الجماعة اللغوية من فروق لا يحدها الحصر .

- ٢- اللغة نظام وقواعد مقروءة تخضع له في توزيع أصواتها، وكلماتها وجملها.
- ٣- اللغة رموز استخدمها الإنسان في اتصاله، بأخيه كالصفير، والحركات، وأصوات مدفع الإفطار، وأجراس الكنائس، وصوت القطار، وإشارات المرور المختلفة، وكاللون أسود كرمز للحزن، والأبيض رمز للفرح عند المصريين، وهز الكتفين عند الإنجليزي كعلامة النفي ب (لا) وهكذا، فكلها رموز تشبه اللغة المنطوقة.
- ٤- اللغة صوت ذو معنى يصدر عن أعضاء الجهاز النطقي الإنساني.
- ٥- اللغة متغيرة : والتغير هو انتقال ظاهرة لغوية من حالة إلى حالة أخرى في مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المعينة، والتغير يلحق أنظمة اللغة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية تبعًا لقواعد وقوانين أقرب ما تكون إلى الثبات واطراد النتائج، ولا طاقة لأحد بمقاومته، أو تغييرها، وترجع أسباب التغير لظروف: جغرافية، ومناخية، وصفات بيولوجية، وجنسية، وعوامل نفسية، وانتقال اللغة من جيل إلى جيل، والميل إلى السهولة والاقتصاد في الجهد.
- وكذلك من أسباب التغير: تأثر اللغة بلغات أخرى، والصراع اللغوي، والتغير الثقافي.
- فاللغة: نظام من الرموز المنطوقة والمكتسبة تستخدمه جماعة معينة من الناس؛ بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فيما بينهم.

" اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة "

اتصل الإنسان الأول بأخيه مستعينًا ببعض الوسائل كالحركة، والرسم، والصوت، والضوء، ثم تطورت ملكة الكلام لدى الإنسان، فنشأت عن ذلك اللغة المنطوقة، فاستخدمها ردحًا من الزمن حينما أحس بالحاجة للاتصال بغيره من بني جنسه حين يصعب على الصوت أن يؤدي الغرض، لبعد المسافة والزمن.

وحيثما أراد أن ينقل خبراته وتجاربه لأحفاده، وهنا أدرك عدم كفاية اللغة المنطوقة لإتمام عملية الاتصال في وقت لم يملك فيه الإنسان وسائل الاتصال السلوكية أو اللاسلوكية ولا وسائل التسجيل، عندئذ تطورت وسائل الاتصال فصارت اللغة المكتوبة.

ومن ذلك يتضح سبق اللغة المنطوقة للغة المكتوبة ودليل ذلك أن الإنسان بدائي يحتاج لأبسط الضرورات ومنها اللغة المنطوقة، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضارة، و إذا لم تكن ثمة حاجة للكتابة اكتفى باللغة المنطوقة، كذلك بداية الإنسان عندما يولد يتعلم اللغة المنطوقة، ثم يتبع بيئته فقيرة متخلفة لا تعلمه، أما إن كانت مستنيرة فإنها تحرص على تعليمه القراءة والكتابة، أي أن تعلم اللغة المنطوقة أولاً، ثم يكون الحرص والتوجيه لتعلم اللغة المكتوبة أو لا يكون، ومقتضى هذا أن حقيقة اللغة تقوم على الأصوات المنطوقة لا الكلمات المكتوبة، أو كما قال "جسبرسن" : " إن اللغة ينظر إليها عن طريق الفم والأذن، لا عن طريق القلم والعين.

" الفرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة "

اللغة قديمة قدم المجتمع الإنساني، ولكن البحث فيها لم ينشأ إلا في إطار التقدم العلمي، ولذا فإن كتابتها "تدوينها" ظاهرة حديثة نسبياً، فهناك شعوب كثيرة أميون لم تدون لغتها، ولم تتصور أن تلك العبارات المنطوقة يمكن أن تدون إلا بعد مرورها بمرحلة من الرقي الحضاري، فاللغة معروفة للإنسان كمعرفته للماء والتنفس.

لكن متى عرف الإنسان التحليل العلمي لمكونات الماء وخصائصه، أو الجهاز التنفسي، أو عمليتي الشهيق والزفير؟

❁ لا شك أنه عرف ذلك منذ وقت قريب نسبيًا

وإليك عزيزي القارئ بعض الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة :

- ١- من حيث الثبات والتنوع: نجد أن الأولى متنوعة والثانية ثابتة نسبيًا؛ حيث تعتمد على اختيار العبارات المناسبة، ولا تظهر فيها ملامح شخصية الكاتب، أما الأولى فتظهر شخصية وجنسية المتكلم.
- ٢- من حيث المنطق والانفعالية: نجد أن الأولى انفعالية تنتوع فيها عناصر الصوت من نبر وتنغيم، ووقف، وحركات، ونظرات تبعًا للموقف "جد- هزل -سهل- صعب" لا تملك فيها الحواس، أما الثانية فهي منطقية تعتمد على السيطرة على الحواس في قدرتها على التصوير، والدقة في التعبير.
- ٣- من حيث التكلف والعفوية: نجد أن الأولى عفوية، والأخرى متكلفة؛ لحاجتها إلى ضبط وقواعد تحتاج إلى افتعال وتحليل أو احتياط.

ثانيًا: مناهج علم اللغــــــــــــة.

تاريخ علم اللغة الحديث يبدأ باكتشاف اللغة السنسكريتية (sanskrit)، وحل رموزها

على يد

(السيروليام جونز) الإنجليزي في سنة ١٧٨٦م؛ حيث اقتصرت الدراسات اللغوية قبل ذلك على درؤاسة فيولوجيا اللغتين اللاتينية والإغريقية، ولم يكن هناك نصيب من الدراسة للهجات الشعبية أو للغات غير الأوربية، وكان أس الدراسة الذي يدور حوله اللغويين هو البحث في أصل ونشأة اللغة، وتقويم اللغات من حيث الأسلوب أو الثروة اللفظية أو ضخامة التراث أو التاريخ الأدبي للغة.

وهذه البحوث وشبهها قد نبذها علم اللغة الحديث وراء ظهره؛ لأنها ميتافيزيقية أو ذاتية يعتمد الرأي فيها على التخمين، ثم بدأ علماء اللغة بعد ذلك يبحثون اللغة بمناهج مختلفة مستمدة كلها من طبيعة اللغة نفسها، فاستخدموا: المنهج الوصفي، ثم المنهج التاريخي، ثم المنهج المقارن.

أولاً: المنهج الوصفي:

يُعد(دو سوسير) أول من دعا إلى تطبيق(المنهج الوصفي) في دراسة اللغة، وأول من وضع الأسس العلمية الدقيقة لهذا المنهج، وقد أطلق على هذا العلم اسم(سايكروني) بمعنى علم اللغة التزامني، أي في الزمن، وقد أطلق عليه مصطلح آخر هو(علم اللغة التركيبي)؛ لأنه يهدف إلى وصف تركيب البنية اللغوية، وكان اللغوي السويسري "دوسوسير" أول من أبرز إمكان بحث اللغة، أو اللهجة بالمنهج الوصفي، وكان المنهج المقارن هو السائد حتى القرن التاسع عشر.

❖ والمنهج الوصفي يهتم بدراسة وتحليل البنية اللغوية لأية لغة أو لهجة، لذا نرى أن أية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية، أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة، أو الوسيطة، أو الحديثة تعد دراسة وصفية، وهناك مجالات كثيرة لبحث النقوش، والنصوص العربية القديمة بالمنهج الوصفي، ودراسة الأبنية الصرفية المنتمية إلى مستوى لغوي واحد تعد دراسة صرفية بالمنهج الوصفي، ودراسة جوانب بناء الجملة في مستوى لغوي واحد تعد دراسة نحوية بالمنهج الوصفي، وإعداد المعاجم الصغيرة كلها تتم بالمنهج الوصفي، ويقوم هذا المنهج على وصف اللغة المنطوقة المعينة في حالة الثبات؛ حيث يقوم الباحث بوصف اللغة؛ وتسجيل مظاهرها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية المترامنة، وليس من تخصصه تفسير الظاهرة، أو الحكم عليها بالصواب، أو الخطأ، وإنما حسب تسجيل الواقع اللغوي تسجيلاً أميناً، وفيه توصف اللغة حسب الشكل الموجود في فترة زمنية معينة وبيئة مكانية محددة حتى لا تختلط اللغات أو لهجات اللغة الواحدة بعضها ببعض، فهو منهج علمي ساكن، لا يقتضب الباحث فيه ما هو مفصل، ولا يبسط ما هو معقد.

والمنهج الوصفي هو المنهج السائد الآن في علم اللغة الحديث؛ لأن التنظيم الباطني للقواعد الداخلية للغة هو المهم، وليس تاريخها أو نشأتها، أو مراحل تطورها هو المهم، وعلى ذلك فالتناول التاريخي للظاهرة اللغوية ليس تتاولاً علمياً، أما المنهج الوصفي فهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على أساس علمي موضوعي، وهو يحقق فائدة علمية، وهي تعليم الناس اللغات الأجنبية، وتعريفهم الطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم.

ومع ذلك فمن الصعب الفصل بين المنهجين: الوصفي والتاريخي، فالدراسة اللغوية التاريخية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس المنهج الوصفي؛ وذلك لأن متابعة التغيير

التاريخي للغة لابد من سبقه بوصف المراحل المختلفة التي مرت بها اللغة، مرحلة أثر مرحلة.

ثانياً: المنهج التاريخي:

يقوم المنهج التاريخي على : دراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون ويعتمد على ما دون- من نصوص، وهو يتتبع الظاهرة اللغوية من أقدم عصورها التاريخية إلى أحدثها مسجلاً التغيرات التي تلحق بها، سرها وأسبابها ونتائجها. أي أن هذا المنهج منهج استرجاعي يستعيد ماضي اللغة ويهتم بتاريخها عن طريق الوثائق القديمة وقد سمى (دو سوسير) علم اللغة التاريخي باسم (دياكروني) بمعنى: عبر أو خلال الزمن.

وعلم اللغة التاريخي أو التطوري يقوم بدراسة اللغة المكتوبة من خلال تغيراتها المختلفة عبر الزمان والمكان، فاللغة هي بناء حاضر، ونتيجة ماض، وحركة متطورة، والتغير اللغوي يسير في كل الاتجاهات:

(في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية والدلالات)، ولا يحدث هذا التغير بدرجة واحدة، ولا يخضع لنظام معين ثابت، ويعتمد المنهج التاريخي على اللغة المكتوبة، كما يعتمد على المنهج الوصفي للغة بتتبع تغيراتها، والدراسة التاريخية تتصف بالحركة، وعدم الاستقرار، ولذلك يقول ماريو باي: "أما علم اللغة التاريخي، فهو علم بفاعلية مستمرة، فهو يدرس اللغة من خلال تعبيراتها المختلفة.

ثالثاً: المنهج المقارن:

• يركز هذا المنهج على دراسة الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية أو الدلالية المشتركة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة الأصل، ولقد استخدم (بوب) في

بحثه (نظام التصريف في اللغة السنسكريتية) والمقارنة بينهما وبين الألمانية، واليونانية، واللاتينية، وأما اللثام عما بين اللغات الهندية الإيرانية من جهة، واللغات الإغريقية واللاتينية، والجرمانية من جهة أخرى من تشابه وسمات مشتركة، وفعل ذلك علماء كثيرون، ونتج عن تطبيق هذا المنهج، تصنيف اللغات، وربطها بعضها ببعض، واكتشاف ما بين هذه اللغات من سمات مشتركة، مما جعلهم يطلقون عليها اسم (فصيلة اللغات السامية) التي تشمل اللغات الأكادية (الأشورية والبابلية) واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) ، واللغات الآرامية، واللغة العربية الشمالية والجنوبية، واللغة الحبشية، كما اكتشف اللغويون صلات القرابة التي تربط اللغات الحامية (اللغة المصرية القديمة، والقبطية الحديثة، والبربرية، واللغات الكوشيتية)، كل استنتاج قائم على نظم افتراضية ، فعلم اللغة المقارن باستطاعته تحديد تغيرات معينة، خضعت لها لغة ما في مرحلة معينة من مراحل تطورها التاريخي، أو دراسة لغتين من فصيلة واحدة ، كالعربية والسريانية مثلاً .

رابعاً: المنهج المعياري:

أنكر أصحاب هذا المنهج نظرية التطور اللغوي، ورأوا أن اللغة ظاهرة جامدة، وأن اللغة ثابتة، وأن التغيير في اللغة أمر فاسد يجب التصدي له، كما يجب وضع قواعد معيارية للغة، ويعتبر الخروج عنها أمر خطأ، ومن وافقها فهو الصواب، وقد ساد هذا المنهج عند الإغريق والرومان والمتأخرين من نحاة العرب، حتى مطلع العصر الحديث، حيث تراجع أمام المناهج الأخرى قليلاً.

خامساً: المنهج التقابلي:

ويقوم بدراسة الثقافات والحضارات المختلفة بين لغتين من قبيلتين مختلفتين، كالعربية والإيطالية مثلاً، أو العربية، والألمانية، كما يجب أن تحدد الدراسة مستوى بعينه في

اللغتين المدروستين كالفصحى فيهما أو العامية فيهما مثلاً، وتركز الدراسة التقابلية على جوانب الاختلاف بصفة أساسية في اللغتين موضوع الدرس وتقوم أولاً بدراسة وصفية للظواهر في كل لغة على حده، ثم تقوم بعد ذلك بدراسة تقابلية تقارن فيها اللغتين؛ لمعرفة أوجه الاختلاف بينهما فهي دراسة تبدأ وصفية ثم تنتهي تقابلية، وبجوار هذه المناهج الأساسية والبارزة في مجال البحث اللغوي، فهناك مناهج أخرى كمنهج الملاحظة، والاستقراء، والتجريبي، والمنهج النفسي والاجتماعي، ولكل منهج مدارسه وعلمائه وباحثوه، ومؤيدوه ومعارضوه وناقده، وإن كانت هذه المناهج ذات صلة بعضها ببعض وصولاً للهدف المرجو.

ثالثاً: مستويات التحليل اللغوي

اللغة الإنسانية هي نظام من الرموز الصوتية، أو هي نسق من العلاقات، وهذا النظام أو النسق تتحكم فيه قواعد معينة، في مجال التحليل اللغوي، ولتبسيط البحث وتيسيره نعد إلى تجزئ الظاهرة اللغوية إلى مستويات أربعة، ثم نفحص كل مستوى على حدة في محاولة لبناء نموذج أو صورة للغة لكي نستطيع تفسيرها وإلقاء الضوء عليها، وهذه المستويات الأربعة هي:

١ - المستوى الصوتي (phonetics):

ويدرس من خلاله منهجه مواضع النطق وصفات الحروف، من حيث الجهر، والهمس والانفجار، والاحتكاك، والترقيق، والتفخيم، كما يدرس مخارجها، ومعانيها، والنبر، والمقاطع، والتنغيم في لغة معينة باعتبار الأصوات اللغوية وحدات صوتية مجردة منعزلة عن سياقاتها، أو باعتبار الصوت اللغوي وحدة في نسق صوتي فتهم الدراسة ببيان الأشكال المختلفة التي يتشكل بها الصوت، وكذلك بيان وظائفه وقيمه.

■ ويطلق على هذا القسم من هذه الدراسة (فونولوجي)، أما القسم الثاني فيطلق عليه مصطلح

■ (الفوناتيكي)، ويدرس الأصوات (مادة الكلام الإنساني)، مع بيان صفاتها، وأقسامها، وخواصها

■ ويدرس جهاز النطق، وتشريحه، ومخارج الحروف، والأذن، وتأثير هذه الأصوات في الهواء الذي ينقلها بين السامع، والمتكلم.

٢ - المستوى الصرفي: (Morphology):

ويدرس الصيغ اللغوية، وبناء الكلمة، وطرق تشكيلها من اشتقاق، ونحت، وإصاق، والتغيرات التي يطرأ عليها، ويصنف الصيغ إلى أجناس كالفعل والاسم والأداة، أو التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، والتغيرات الصرفية نتيجة الأصوات المتجاورة، كقولهم: مقال، واستقال، وإقالة، وقول وقلت من مادة (قول).

هذا ويعالج علم الصرف الوحدة المسماة بـ(المورفيم) وهو أصغر وحدة ذات معنى في اللغة المدروسة، أي الكلمة، نحو: كلمة (معلمان) نجدها تتألف من مورفيمين هما (معلم)، و (أن) ولا يمكن تقسيم الكلمة (معلم) أو (أن) إلى أقسام أخرى لها معنى.

٣- المستوى التركيبي أو النحوي (syntacs)

ويدرس نظام الجملة، وتحليلها، ووضع الكلمات في الجمل، والعلاقات النحوية التي تربط بين عناصرها المختلفة، ويدرس أيضًا أنواع الجمل من إثبات أو نفي أو استفهام أو تعجب وغير ذلك

، ونظرًا للارتباط الشديد بين علمي النحو والصرف فأطلق عليهما: قواعد النحو، أو النحو (Grammar)، واتصالًا بهذه الدراسات، وانبثاقًا عنها في الدرس اللغوي الحديث، ظهرت مناهج جديدة في دراسة التراكيب من بينها المنهج التوليدي التحويلي.

٤- المستوى الدلالي (semantics)

علم المعجم وعلم المعاني: ويقوم بدراسة معاني المفردات، والعبارات، والعلاقات الدلالية المختلفة

، مثل: الترادف، والتضاد، والاشتراك اللفظي، والتغير الدلالي وأسبابه، والتطور التاريخي للكلمات وما يلحقها من حياة أو موت، أو رقي، أو انحطاط، كما يدرس ربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى الحال، كذلك يدرس تاريخ الكلمات واشتقاقاتها.

إن اللغة تخضع إلى مجموعات من الضوابط، وعديد من النظم التي تقنن ظواهرها، كما تتعدد مستوياته، ويتطلب كل مستوى معرفة الروابط التي تنظمه، والقواعد التي تحكمه، واللغة وسيلة تعايش بين الفرد والمجتمع، وبدونها ما كان له أن يعبر من نطاق ذاته إلى الآخرين، وأن يقيم جسورًا من الصلات بينه وبينهم، وذلك بنقل الأفكار والمعلومات وتبادل الخبرات، كما أن اللغة وسيلة للتنفيس عن مشاعر الإنسان إزاء ما يحيط به في حياته وبتنفيسه عن مشاعره، يعبر في الحقيقة عن مواقفه وطموحه.

وفي هذا الفرع يقول أستاذي الدكتور / تمام حسان:

"اللغة نتاج اجتماعي بلا شك، ويراعي الكشف عن هذا الجانب الاجتماعي في إبانة المعنى وهو ما يعرف بالمعنى الدلالي الذي هو معنى المنطوق الذي هو نشاط نطقي بخلاف المعنى المعجمي العام الذي هو معنى الكلمة.

وهذه المستويات السابقة الأصوات، الكلمات، الجمل) هي مبني للغة، أي ما يشبه أن يكون روحًا أو عقلاً للغة.

● والخلاصة: أن النشاط اللغوي الإنساني ليس عملية سهلة، لتداخل العديد من المؤثرات في هذا النشاط، وكذلك لخضوعه للنظم المتعددة، والتي يخضع الإنسان لها عند ممارسته لهذا النشاط اللغوي.

اللغة العربية لغة مقدسة:

العربية لغة القرآن الكريم, وهو مهيمن على ما سواه من الكتب الأخرى وهذا يقتضي أن تكون لغته مهيمنة على ما سواها من اللغات الأخرى.

وهي لغة خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله الله للبشرية جمعاء, واختار الله له اللغة العربية, وهذا يعني صلاحيتها لأن تكون لغة البشرية جمعاء و ينبغي أن نذكر أبعاد هذه المسألة.

قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } (الشعراء: آية ١٩٢-١٩٥).

فلما وصفها الله بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنها, وهذا وسام شرف وتاج كل الله به مفرق العربية, خصوصاً حين ناط الله بها كلامه المنزل, قال تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (الزخرف: آية ٣). وقال تعالى: { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (فصلت: آية ٣). وقال تعالى: { قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ } (الزمر: آية ٢٨).

ومن هنا قال حافظ إبراهيم على لسان العربية:

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً.... وما ضقتُ عن آي به وعظمتِ

فهو يشير إلي الطاقات الهائلة والمخزون الضخم الذي تمتلكه العربية التي وسعت هذا القرآن بكل أبعاده وآفاقه.

إنها لغة الخلود حيث لا يمكن أن تزول عن الأرض إلا أن يزول هذا الكتاب المنزل وقد تكفل الله بحفظ كتابه الكريم في قوله: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر: آية ٩).

ومن الطريف ما ذكره محمد الخضر حسين: " كتب (جون فرن) قصة خيالية بناها على سياح يخرقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها, ولما أرادوا العودة إلى ظاهر الأرض بدا لهم هنالك أن يتركوا أثراً يدل على مبلغ رحلتهم, فنقشوا على الصخر كتابة

باللغة العربية، ولما سئل جون فرن عن اختياره للغة العربية قال: إنها لغة المستقبل ولا شك أنه يموت غيرها وتبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه".

وتعد اللغة العربية أكبر لغات المجموعة السامية، إضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة، كالأهواز وتركيا وتشاد ومالي والسنغال. من حيث عدد المتحدثين، وإحدى أكثر اللغات إنتشاراً في العالم. حيث يتحدث بها أكثر من (٤٢٢) مليون نسمة كلغة أم، ويتحدث بها المسلمون غير العرب قرابة العدد نفسه كلغة ثانية، ويتوزع متحدثوها في المنطقة المعروفة باسم الوطن العربي.

وللغة العربية أهمية قصوى لدى أتباع الديانة الإسلامية ؛ فهي لغة مصدري التشريع الأساسيين في الإسلام: القرآن والسنة النبوية، ولا تتم الصلاة في الإسلام إلا بإتقان بعض من كلمات هذه اللغة.

وبانتشار الإسلام وحضارته ارتفعت مكانة اللغة العربية، وأصبحت لغة السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون، وأثرت العربية تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي، كالتركية والفارسية والأردية. ويطلق العرب على اللغة العربية لقب "لغة الضاد" وذلك لأنها الوحيدة بين لغات العالم التي تحتوي على حرف الضاد.

وهي اللغة الرسمية في كل دول العالم العربي، إضافة إلى كونها لغة رسمية ثانية في دول أخرى مثل: السنغال، ومالي، وتشاد، وإريتريا، وقد اعتمدت العربية كأحدى لغات منظمة الأمم المتحدة الرسمية الست.

وتحتوي اللغة العربية على ٢٨ حرفاً مكتوباً، وتكتب من اليمين إلى اليسار بعكس الكثير من لغات العالم، ومن أعلى الصفحة إلى أسفله.

تعد اللغة العربية أهم مقومات الثقافة العربية الإسلامية وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بعقيدة الأمة وهويتها وشخصيتها، لذلك صمدت أكثر من سبعة عشر قرناً سجلاً أميناً

لحضارة أمتها وازدهارها وشاهدا على إبداع أبنائها وهم يقودون ركب الحضارة التي سادت الأرض حوالي تسعة قرون.

لذلك اتسمت بسمات متعددة في حروفها ومفرداتها وإعرابها ودقة تعبيرها وإيجازها وهذه السمات جعلت أرست رينان يقول فيها:

" من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية , وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري, عند أمة من الرّحل, تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها, ودقة معانيها, وحسن نظام مبانيها" .

أما الأمريكي (وليم ورل) فيقول :

" إن اللغة العربية من اللين, والمرونة, مايمكنها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر, وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام لغة أخرى, من اللغات التي احتكت بها وستحافظ على كيانها في المستقبل, كما حافظت عليه في الماضي.

ويرى المستشرق الإيطالي(جويدي).

" إن اللغة العربية الشريفة آية للتعبير عن الأفكار, فحروفها تميزت بانفرادها بحروف لا توجد في اللغات الأخرى, كالضاد والطاء, والعين والغين والحاء والطاء والقاف, وبثبات الحروف العربية الأصلية, وبحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين, وبالعلاقة بين الحرف والمعنى الذي يشير إليه".

أما مفرداتها فتميزت بالمعنى, والتكاثر, والتوالد, وبمنطقيتها (منطقية في قولها), ودقة تعبيرها, من حيث الدقة في الدلالة والإيجاز, ودقة التعبير عن المعاني.

لذلك قال الايطاليون: " إن لغة العرب تمتاز بجمالها, وموسيقاها, والتفاضل بين

اللغات يكون في كثرة إنتاجها الأدبي والفكري لا في عدد ألفاظها.

والعالم الألماني (فرينباغ) يشير إلى غنى اللغة العربية في قوله: " ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب, بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم, وإن اختلفنا عنهم في

الزمان, والسجايا, والأخلاق, أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية, وبين ما أفوه, حجاباً لا نتبين ماوراءه إلا بصعوبة" أما الفرنسيون فيقولون عن العرب: " إن لغتهم تمتاز بالوضوح".
مما سبق نرى بأن ما يميز اللغة العربية من اللغات الأخرى, قدرتها الفائقة على الاشتقاق, وتوليد المعاني, والألفاظ, وقدرتها على التعريب, واحتواء الألفاظ من اللغات الأخرى, إلى جانب غزارة صيغها, وكثرة أوزانها, وهذه السعة في المفردات والتراكيب, أكسبتها السعة والقدرة على التعبير بدقة ووضوح.

الفصل الثاني

اللغويات / اللسانيات / علم اللغة

اللغويات / اللسانيات / علم اللغة

اللغويات أو اللسانيات أو علم اللغة. هي علم يهتم بدراسة اللغات من حيث دراسة خصائصها وتراكيبها ودرجات التشابه والتباين فيما بينها, أي يدرس اللغة من كل جوانبها دراسة شاملة, واللغوي هو الشخص الذي يقوم بهذه الدراسة. ظهرت اللسانيات الحديثة في القرن 19م, لكنها كعلم قديم قدم الإنسان, جاءت بفكرة رئيسية مع العالم فرديناند دو سوسور فمع علمنة الثورة الصناعية أراد علمنة اللغة أيضاً في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة) فاللغة عنده تحمل هويات من قيم الدين, والمحيط, والثقافة, والفكر الفلسفي.

وتعني باللغات الحية (المستعملة أداة للتخاطب), أو الميتة التي لم يعد استعمالها جارياً نحو اللاتينية, وتعنى كذلك باللهجات بشكل عام. ولا تميزها عن الفصحى, وتعنى باللغات البدائية واللغات المتحضرة دون تمييز.

تنقسم اللسانيات إلى قسمين رئيسيين :

دراسة شكل اللغة أو ما يصطلح عليه بالبنية, ودراسة معنى اللغة أو ما يصطلح عليه علم الدلالة.

الشكل / أو البنية:

يهتم بدراسة تركيب اللغة؛ أي القواعد, وهذا القسم يتكون من المورفولوجي (دراسة مكونات الكلمة) والسينتاكس (دراسة مكونات الجملة) والفونيتكس (دراسة أصوات الكلام وكيفية نطقها وملاحظتها) والفونولوجي (دراسة خصائص المقاطع وترتيب الأصوات).

المعنى :

يهتم بشرح كيفية استخدام اللغة لبعض التراكيب والكلمات لنقل وإرسال معنى معين, وذلك بهدف إزالة الغموض المحتمل من استخدام تراكيب أخرى, وهذا القسم يتكون من السيمانتيكس (شرح معنى الكلمات والمفاهيم) والبراغماتيكيكس (شرح اختلاف معنى الكلمات من سياق لآخر).

تعنى اللغويات بدراسة جميع لغات البشر بما فيها اللغات المعاصرة, ويتركز اهتمام دارس اللغويات على اللغة نفسها أساساً, فيهتم بأصولها وتطورها وبنائها, وبالتالي يستطيع عالم اللغويات أن يعيد رسم صورة تاريخ اللغات والأسر اللغوية, ويقارن بينها لتحديد السمات المشتركة, وفهم العمليات التي تظهر من خلالها اللغات إلى الوجود وتتنوع كما نراها اليوم والواقع أن دراسة اللغويات تعتمد على منهج

علمي وتعتبر أحد فروع علم الإنسان الثقافي, لأن اللغة هي أحد أهم عناصر الثقافة إن لم تكن أهمها على الإطلاق, وينقسم علم اللغويات إلى علم اللغات الوصفي وعلم أصول اللغات.

ويمكن تقسيمها أيضاً إلى :

الوصف :

علم اللغويات الوصفي:

ويهتم بتحليل اللغات في زمن محدد, ويدرس النظم الصوتية, وقواعد اللغة والمفردات, ويعتمد عالم اللغويات هنا في دراسته على اللغة الكلامية غير المكتوبة فيستمع إلى المتحدثين ويعبر عن لغتهم المنطوقة برموز دولية متعارف عليها.

الأصل :

علم أصول اللغة:

ويهتم بالجانب التاريخي والمقارن حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعتها تاريخياً عن طريق وثائق مكتوبة, وتزداد المشكلة تعقيداً عندما يتناول عالم اللغويات لغة قديمة لم يبق لها أى أثر أو وثائق مكتوبة عنها, بناء على ذلك ينبغي أن لا نفهم أن اللغوي معزول عن عالم الإنسان بل على العكس تماماً فهو يوجه اهتمام عالم الإنسان إلى مشكلات لغوية بحتة, وكما يهتم بالعلاقات العديدة والقائمة بين لغة شعب ما وبقية جوانب ثقافته, وهكذا يمكن أن يدرس الكيفية التي ترتبط بها لغة جماعة معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي.

علم اللغة: هو دراسة اللغة على نحو علمي, وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي, وعما حصل من تركيب كل جوهر وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية. وغايته: الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية, والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب. ومنفعته الإحاطة بهذه المعلومات وطلاقة العبارة وجزالتها والتمكن من التقنن في الكلام وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة والأقوال البليغة.

مجالات علم اللغة:

لعلم اللغة مجموعة من المجالات التي يختص بدرستها , وتساهم في تمييز اللغات عن بعضها البعض, وتتنوع هذه المجالات على النقاط التالية :

الأصوات :

هي ما يسمع من صوت للكلمات, التي يتم نطقها وتعد جزءاً من أجزاء الكلام, ووسيلة من وسائل التواصل بين الأفراد, فكل لغة من اللغات تحتوي على مجموعة من الأصوات التي ترتبط بحروفها, وكلماتها, ولكل كلمة دلالة خاصة بها, يساعد صوتها في التعرف عليها.

البناء :

هو الشكل الذي تتخذه الحروف بعد ربطها معاً, ويعرف أيضاً بأنه: الوسيلة التي تعمل على تكوين الكلمات, والجمل, لذلك يقسم إلى نوعين, وهما: بناء الكلمة, وبناء الجملة.

الدلالة :

هي المعنى الذي تدل عليه الكلمة, ويفهم من خلال سياق النص, فقد تتشابه الكلمات شكلاً أو لفظاً ولكنها تختلف في الدلالة بينها, مثال : كلمة (جمل). إذا حرك حرف الجيم بحركة الفتحة تدل على (الجمل), وهو نوع من الحيوانات, أما إذا حرك حرف الجيم بحركة الضمة (الجمل), وهي جمع الجملة, وتظهر هذه المميزات واضحة في أغلب لغات العالم.

علوم اللغة العربية اثنا عشر علماً :

قال الشيخ محمد بن عبدالباري الأهدل-رحمه الله- في الكواكب الدرية على متممة الأجرومية ص ٢٤.
وعلوم العربية اثنا عشر علماً"

-علم اللغة(أى علم أصول اللغة ومفرداتها , وضبط دلالة الألفاظ على المعاني).

- وعلم التصريف.

- وعلم النحو.

- وعلم المعاني.

- وعلم البيان.

- وعلم البديع.

- وعلم العروض.

- وعلم القوافي.

- وعلم قوانين الكتابة.

- وعلم قوانين القراءة.

- وعلم المحاضرات ومنه التواريخ- وعلم إنشاء الرسائل والخطب.

وقد جمعهم الشاعر اللغوي في قوله:
صرفُ بيانُ معاني النحو قافيةً.... .. شعراً عروضُ اشتقاقُ الخطِّ إنشاءً
محاضراتٍ وثاني عشرها لغة.... .. تلك العلوم لها الآداب أسماء

الفصل الثالث

اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة:

أطلق المؤلفون العرب على الاشتغال بالمفردات اللغوية جمعاً وتأليفاً عدة مصطلحات أقدمها مصطلح "اللغة".

لقد وصف أبو الطيب البغدادي، ت ٣٥١هـ، أبا زيد الأصمعي وأبا عبيدة وقارنهم من جانب معرفتهم باللغة، كان أبو زيد أحفظ الناس للغة، وكان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها. والمقصود هنا بكلمة اللغة مجموع المفردات ومعرفة دلالاتها.

وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بال النحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من الجانب الآخر.

لذا عد سيبويه والمبرد من النحاة بينما عد الأصمعي وأقرانه من اللغويين. وقد ظل استخدام كلمة اللغة بهذا المعنى عدة قرون، وأصبح اللغوي هو الباحث في المفردات جمعاً وتصنيفاً وتأليفاً. فالأصمعي لغوي لأنه جمع ألفاظ البدو وسجلها في رسائل لغوية مصنفة في موضوعات دلالية، والخليل لغوي لأنه أول من حاول حصر الألفاظ العربية وتسجيلها في معجم، وابن دريد لغوي أيضاً لأنه ألف معجمه جمهرة اللغة، والأزهري لغوي لأنه ألف معجمه تهذيب اللغة، وظل استخدام كلمة اللغة بمعنى بحث المفردات وتصنيفها في معاجم وكتب موضوعية سائداً في الدوائر العلمية عدة قرون.

وهناك مصطلح ظهر في القرن الرابع الهجري عند اللغوي العربي ابن فارس، ت ٣٩٥هـ، وأخذه عنه الثعالبي، ت ٤٢٩هـ، لقد أطلق ابن فارس على أحد كتبه "الصاحبي في فقه اللغة"، وبذلك ظهر مصطلح فقه اللغة لأول مرة في التراث العربي عنواناً لكتاب، وتسمية لفرع من فروع المعرفة، ولم ينتشر هذا المصطلح إلا بقدر محدود، وأشهر من استخدمه بعد ابن فارس - لغوي أديب هو الثعالبي، فقد سمى كتابه "فقه اللغة وسر العربية".

يتفق كتابا ابن فارس والثعالبي، في معالجتهم لقضايا الألفاظ العربية، فموضوع فقه اللغة عندهما هو معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها وتصنيف هذه الألفاظ في موضوعات وما يتعلق بذلك من دراسات. يضم كتاب ابن فارس إلى جانب هذا مجموعة من القضايا النظرية حول اللغة، من أبرزها قضية نشأة اللغة، فإذا كان العلماء قد اختلفوا في ذلك فرأها البعض "اصطلاحاً" أي عرفاً اجتماعياً فإن ابن فارس رفض هذا الرأي واعتبرها توقيفاً أي بمنزلة الوحي المنزل من السماء.

ولا يدخل موضوع اللغة ولا موضوع ارتباط اللغة بالوحي في إطار قضايا علم اللغة الحديث, لأنه ليس من الممكن بحث الموضوعين بمعايير علمية دقيقة.

كما تضمن كتاب الثعالبي قسماً ثانياً هو سر العربية, وقد تناول الثعالبي في القسم الثاني عدداً من الموضوعات الخاصة ببناء الجملة العربية, ولكن المؤلفين متفقان على جعل فقه اللغة هو دراسة دلالات الألفاظ وتصنيفها في موضوعات.

أما مصطلح " علم اللغة" فقد استخدم عند بعض اللغويين المتأخرين وكان المقصود منه دراسة الألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالاتها, فالرضي الاسترأبأذي يفرق بين علم اللغة وعلم التصريف, موضوع الأول: دراسة الألفاظ, والثاني: معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الألفاظ.

أما أبو حيان فقد ذكر مصطلح علم اللغة في عدة كتب له, وموضوع علم اللغة عنده هو دراسة مدلول مفردات الكلم.

ولا يختلف استخدام مصطلح علم اللغة عند ابن خلدون عن هذا المعنى, فعلم اللغة عنده هو بيان الموضوعات اللغوية والمقصود بذلك الدلالات التي وضعت لها الألفاظ وقد ذكر ابن خلدون في إطار كلامه عن علماء اللغة الخليل بن أحمد وغيره من أصحاب المعاجم العربية.

ويوضح كل هذا أن مصطلح علم اللغة يعني عند الرضي الاسترأبأذي وأبي حيان وابن خلدون وغيرهم دراسة المفردات وتصنيفها في معاجم وكتب.

وهناك اصطلاحاً آخر أطلقه بعض المؤلفين على دراسة دلالات المفردات اللغوية وهو اصطلاح " علم متن اللغة", وقد حاول المرصفي وحمزة فتح الله استخدام هذا المصطلح بهذا المعنى, كما أطلق أحمد رضا أيضاً على معجمه متن اللغة.

وهكذا استخدم المؤلفون العرب قبل العصر الحديث, وتابعهم المؤلفون في أوائل القرن العشرين بصفة خاصة مصطلحات اللغة وفقه اللغة وعلم اللغة و متن اللغة في عناوين مؤلفاتهم أو وصفاً لجهود مؤلفي المعاجم وكتب المفردات اللغوية^(١).

فقه اللغة :

هو علم يبحث في المعجمات والمفردات من حيث الأصالة, والمعنى, والسمات , واشتقاقها, وترادفها, إضافة للهجات, وفكرة القياس, ووظيفة اللغة, والسماع, والتعليل.

(١) انظر أسس علم اللغة العربية: د. محمود فهمي حجازي, ص ٦٦, ٦٩.

أما علم اللغة فهو :

علم يبحث عن المدلولات الجوهرية للمفردات، والهيئة الجزئية التي وضعت مدلولاتها بالوضع الشخصي، وآلية تركيب الجوهر وهيئته من حيث الوضعية والدلالة على معاني اللغة الجزئية.

يهدف هذا العلم إلى الاحتراز من الخطأ في عملية فهم المعاني الوضعية، إضافة للوقوف على كلمات العرب المفهومة؛ حيث يستفاد منه في الإحاطة بطلاقة العبارة وجزالتها وكافة المعلومات حولها، للتمكن من التفنن بالكلام، وتوضيح المعاني ببياناتها الفصيحة والبليلة.

الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة: هناك الكثير من الباحثين لا يميزون بين فقه اللغة وعلم اللغة، لكن الدروس اللغوية الحديثة أظهرت الفرق بينهما بشكل واضح، ويكمن هذا الفرق بينهما في عدد من النقاط، هي :

تختلف منهجية فقه اللغة عن منهجية علم اللغة؛ حيث إن فقه اللغة يدرس اللغة على أنها وسيلة لدراسة الأدب أو الحضارة من خلال اللغة، وهنا يجب التفريق بين المصطلحين : فقه اللغة وعلم اللغة، للتفريق بين دراسة اللغة على اعتبار أنها وسيلة، وبين دراستها على اعتبار أنها غاية في حد ذاتها، ويقول الباحث دي سوسير: إن علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة في حد ذاتها ولأجل ذاتها .

تعتبر ميادين فقه اللغة أشمل وأوسع، وغايتها في النهاية هي دراسة الأدب والحضارة، والبحث في الحياة العقلية بكافة وجوهها ومن جميع جوانبها، لهذا فإن فقهاء اللغة صبوا جُلَّ اهتمامهم لتقسيم اللغات ووضع مقارنة بينهما، إضافة لشرح العديد من النصوص القديمة وصياغتها بهدف معرفة ما تحويه من مضامين لغوية وحضارية من كافة جوانبها.

وهنا يتبين لنا أن فقه اللغة هو تلك المساحة الشاسعة الممتدة بين علم اللغة من جانب وبين كافة الدراسات الإنسانية والأدبية من جانب آخر.

علم اللغة يركز على تركيب اللغة، وتحليلها، ووصفها باعتبارها ميدانه الرئيسي، وعندما يُعالج علماء اللغة المعنى فإنهم يتوسعون في ميدانهم حد الاقتراب من مجال فقه اللغة.

يُعتبر اصطلاح فقه اللغة هو الأقدم من الناحية الزمانية، أما علم اللغة جاء لإيضاح التركيز اللغوي، وهُنا يكمن الفرق الأساسي بين المصطلحين؛ حيث إن فقه اللغة مقارن، أما علم اللغة فهو شكلي أو تركيبية؛ أي يركز على اللغة من ناحية الشكل والتركيب فقط، ولا تعنيه مجالات اللغة الأخرى وما يدور حولها.

وصف علم اللغة منذ لحظة نشأته على أنه علم حسب المفهوم الدقيق له؛ حيث إن مُعظم علماء اللغة قد شددوا على هذه الناحية اللغوية، لكن لم يتصف فقه اللغة كونه علماً، عَمَلُ علماء اللغة هو وصفي تقريبي، أما فقهاء اللغة فهو عمل تاريخي مقارن في غالبية.

الفصل الرابع

نظريات نشأة اللغة

نظريات نشأة اللغة.

اختلف العلماء حول موضوع النشأة، وتتنوع آراء المفكرين، ولم يصلوا إلى نتائج يقينية، بل كان معظمها مصطبغًا بالصفة الشخصية، يقول (ماريو باي): فيم يختص بشأن اللغة وطبيعتها:

"لدينا مصادر تعتمد على الأساطير، والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن نتقنا الحقائق العلمية في هذا الصدد".

وحاول البعض عرض نظرياته عن نشأة اللغة بثوب علمي؛ مدافعًا عنه في صلابة وإصرار، غير أن بعض المعتدلين من علماء اللغة سخر من مجرد التفكير في جعل موضوع نشأة اللغة ضمن بحوث علم اللغة، فقررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع، وعدم قبول أي بحث فيه، كما أن كثيرًا من علماء اللغة المشهورين من أمثال (بلو مفيلد، وفيرث) لم يتعرضوا لدراسة هذا الموضوع بشكل علمي.

واعتبر (فيرث) أن الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية التي على طالب علم اللغة أن يلم بها إلمامًا سريعًا، ولا بأس من ذلك حتى نعرف بعض النظريات والآراء التي حاول بها العلماء تفسير نشأة اللغة الإنسانية.

يرجع الفضل في هذه النشأة إلى المجتمع الإنساني، وحاجة أفراده للتعاون والتفاهم، فاللغة من أهم المؤسسات الاجتماعية عند الإنسان، وإحدى مميزاته الرئيسية التي تميزه عن الحيوان، وربما أن موضوع نشأة اللغة مشكلة فكرية قديمة، كثرت حولها البحوث، وتعددت بصدها الآراء والنظريات، ومن أهم نظريات نشأة اللغة:

-نظرية التوقيف:

ترى هذه النظرية أن اللغة وحي إلهي من الله عز وجل بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، ومن الإنجيل المقدس في العهد القديم "أن الله دعا آدم بأسماء جميع البهائم، وطيور السماء وجميع حيوانات البرية"، ومعناها: أن اللغة توقيف من الله تعالى (جاهزة في عالم الغيب) ثم كشفها وأطلع عليها آدم وورثها بنوه.

وأصحاب هذه النظرية قديماً: هيراكليت الفيلسوف اليوناني (ت: ٤٨٠ ق.م)

وفي العصور الوسطى: ابن فارس، والأشعري، والنسفي، وابن جنبي، والسيوطي، وفي القرن ال ١٨ : الفيلسوف الفرنسي دوبو نالد، والأب لامي.

وإن كان علم اللغة يرفض هذه النظرية؛ لافتقارها إلى الحجة العلمية المقنع، يتبين لنا من وهن وضعف الحجج، والأدلة لمخالفتها سنن التطور، وطبيعة الظواهر الاجتماعية. وليس لهذه النظرية دليل عقلي واقعي يؤيدها.

-نظرية الاصطلاح والمواضعة:

ترى أن اللغة ابتدعت بالاتفاق والمواضعة، أي أن اللغة نشأت من صنع الإنسان، فهو الذي ركب الكلمات من الحروف، ووضع ألفاظ اللغة لمعانيها حسب حاجته في هذه الحياة، أي وضع اللغوي سمة أو لفظاً يدل على إبانة الشيء، نحو، إنسان، وعين، ويد، ورأس، وقدم، وبذلك تنشأ العربية.

ومن أنصارها قديماً: (ديمو كريت) اليوناني، وفي العصور الوسطى: (ابن جنبي)، وأستاذه (ابن علي الفارسي).

وفي العصور الحديثة (آدم سميث) الإنجليزي (وريد) الإنجليزي، وليس للنظرية سند عقلي، أو نقلي أو تاريخي، وما تقرره يتعارض مع النظم الاجتماعية التي تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها، فلا تخلق خلقًا ولا ترتجل ارتجالًا، ولا توجد دفعة واحدة.

-نظرية محاكاة أصوات الطبيعة:

ويذهب أصحابها إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو الأصوات المسموعة، كدوي الرياح، وحفيف الشجر، وحنين الرعد، وخرير الماء، وسجيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، ولعل ذلك يكون قريبًا إلى الصحة والمعقول، وأكثرها يتفق مع طبيعة الأمور، وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات، وظواهر الطبيعة الاجتماعية، ويؤيد ذلك لجوء الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام إلى محاكاة الأصوات الطبيعية، وإن كان ذلك لا يعيد تاريخ نشأة اللغة، ويعد العالم الألماني (هردر) أول من دافع عن هذا المذهب.

-ويمتاز مذهب المحاكاة بشرحه مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ، وبالبيئة التي تحيط به، ولكن يؤخذ على هذا المذهب ما يلي:

-حصره أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة.

-تجاهله الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس، وهي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية.

١- لا يبين لنا كيف نشأت الكلمات الكثيرة التي نجدتها في اللغات المختلفة، ولا نرى فيها محاكاة لأصوات المسميات، ويتضح ذلك بوجه خاص في أسماء المعاني كالعدل، والمروءة، والكرم والشجاعة، وغيرها.

-رفض المنهج العلمي للغة البدائيين.

-إن طريق المحاكاة يجعل الإنسان في مرتبة أدنى من الحيوان؛ لأنه قلده حاكياً صوته قاصداً الدلالة على مصدره، هذه هي المآخذ التي دعت المدافع عن هذا المذهب وهو العلامة (هردر) الألماني إلى العدول عنها في أخريات حياته، كما سخر منها (مكس موللر) الألماني، ومع ذلك فإن لأصحاب هذا المذهب الفضل في فتح باب للباحثين للبحث الفلسفي في نشأة اللغة.

كما أنه لا يبعد كثيراً في إرجاع نشأة اللغة- أحياناً- إلى ملاحظة خاصة.

ويعد د/كمال بشر تلك النظرية بعيدة أيضاً؛ لأن لغات بعض الشعوب البدائية تكاد تخلو خلواً تاماً من مثل هذه الكلمات.

٤- نظرية التنفيس عن النفس:

تصور أن نشأة اللغة عند هؤلاء السلف البعيد حيث بدأت بصفة انفصالية محضة، فمرحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات السانجة التلقائية الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان، فكانت مجرد غناء ينظم بوزن حركة المشي، أو العمل اليدوي، أو صيحة كصيحة الحيوان؛ للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة فهذه الأصوات السانجة، قد تطورت على مر الزمن، حتى صارت ألفاظاً، ولعل الصيحة لدى الحيوان والتي تكشف عن خوف أو لرغبة في الغذاء بعد أن زودت بقيمة رمزية اعتبرت كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون.

-وتمتاز هذه النظرية بعزوها نشأة اللغة الإنسانية؛ أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني وبال الحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان، من انفعالات وأحاسيس، فإذا كانت النظرية السابقة قد أرجعت نشأة اللغة الإنسانية إلى ملاحظة خارجية موضوعية، أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها،

فإن هذه النظرية خطوة أخرى في اتجاه آخر نحو البحث عن حل للمشكلة، فإنها تشرح لنا منشأ بعض الكلمات التي تعجز النظرية السابقة عن شرح منشأها.

❁ ومع كل هذا فإنها نظرية ناقصة وغامضة؛ لأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردها إلى أصوات انفعالي؛ ولأنها لا تشرح لنا سر تحول تلك الأصوات الساذجة الانفعالية إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية؛ لذا انصرف عنها اللغويون، وسخر منها (مكس مولر).

٥- نظرية الاستعداد الفطري:

أذاعها (مكس مولر)، على أن الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة، كما أن لديه الرغبة في التعبير عن أغراضه بأي وسيلة من الوسائل؛ وذلك عند الحاجة أو في الوقت المناسب.

ولعل الذي دعا (مكس مولر) إلى وضع هذه النظرية ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة، وهم تواقون لأن يضعوا أسماء لأشياء التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء، كما أنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل؛ ارتضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم، والتعبير عن أغراضهم، فاستتبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة التي تنشأ عنها الألفاظ.

- ونرى في هذه النظرية مشكلة المشكلات، فكيف، ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة؟ وإذا كان قد زود بفطرته بهذه الألفاظ فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات؟ وكيف تسنى للإنسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكانها، ويطلقها على المسميات المختلفة؟

فالنظرية إذن تنتقل الباحث من مشكلة إلى مشكلات أعمق منها، وأشد غموضًا منها ولبسًا، ومن أبرز عيوبها: أنها تفرض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الإنسان كاملة غير خاضعة لسنة التطور.

٦- نظرية الملاحظة:

برهن العالم الألماني (جيبر) من خلال تجاربه إلى أن الأعمال، والإشارات الإنسانية هي أقدم ما وصل إليه من الأصوات اللغوية الأولى، وأنها أول ما عرف الإنسان عن أخيه، وأول ما لفتت الإنسان الأول، وأثارت اهتمامه؛ حيث كان الإنسان يعمل وله حالات انفعالية تثير الاهتمام، وتخلق التأثير، فتثير الملاحظة، والانتباه من حوله، نحو: كلمة الكشط أو السلخ، فإنها مشتقة من عمل الإنسان بالجلود في سلخها، وفي الخشب حث كشط لحاؤه، والشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب.

ويؤيد هذه النظرية أن جميع أسماء الآلات تقريبًا مشتقة من كلمات تدل على أعمال إنسانية، كما في لغتنا العربية من نحو: المنشار، والمفتاح، والمقص، والمخرز، وكلها مشتقة من أصول يدل كل واحد منها على عمل إنساني مهم.

وإن كانت هذه النظرية خطوة لحل المشكلة إلا أنها لم توضح لنا بأسلوب مفهوم أو معقول الأصول العامة الأولى للأصوات التي أرجعتها إلى الأعمال والإشارات الإنسانية المشتقة من أعمال الإنسان، فمن الصعب جدا إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات كلها إلى تلك الأصول العامة.

٧- نظرية الأصوات التعجبية العاطفية:

ترى أن اللغة الإنسانية بدأت هكذا عند الإنسان بصورة غريزية للتعبير عن انفعالاته من فرح، أو وجع، أو حزن، أو استغراب، أو تقزز، كقولك: (أف) عندما تتأفف، أو (وي) عند التلهف أو التحسر.

وقد رفضت هذه النظرية لعدم قدرتها على عدم إبراز الصورة الحقيقية لنشأة اللغة.

٨- نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ومدلولها:

أن اللغة الإنسانية بدأت بالمقاطع الطبيعية التي يتقوه الإنسان بها عفويًا عند استعماله أعضاء جسمه في العمل اليدوي، كما تسمع إذا وقفت بجوار عامل ينحت صخرًا، أو يحمل ثقلًا، أو يقطع شجرة، أو حداد يعمل.

ملحوظة: وقد رفضت هذه النظرية: لعدم أدلتها القوية على إبراز صورة حقيقية لنشأة اللغة أيضًا.

٩- النظرية الاجتماعية:

ترى أن اللغة نشأت عن طريق الأصوات الجماعية نتيجة التقاء الإنسان الأول مع إخوانه من البشر في أعمال تحتاج إلى أصوات تخفف على أنفسهم مشقة العمل فأصدر أصواتًا لا معنى لها، كقولهم: هيلًا هوب، ثم صار لها معنى بعد ارتباطها بالعمل، وأصبحت على مر الأيام وسيلة للتفاهم.

أي أن اللغة وضعتها الجماعة فهي اجتماعية، وهذا ليس معقولًا أن يظل الإنسان أبكما زمنًا طويلًا حتى يلتقى بغيره فينطق الأصوات المعبرة دفعة واحدة دون مران سابق، وهذا يخالف للمألوف. كما أنه ليس معقولًا أن الإنسان لم يعرف اللغة إلا بعد تكوين الجماعة، ومزاولتها للأعمال الشاقة التي هيأت له سبيل الوصول إلى الكلام.

١٠- نظرية التطور اللغوي:

تأثر أصحابها بنظرية التطور العام للعالم "دارون" ورأوا أن التطور اللغوي يشبه التطور والنمو اللغوي عند الطفل، وزعموا أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فكرية متعددة، متمشية مع مراحل نموه العقلي، وهذه المراحل هي:

أولاً: مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية:

صدرت عن إنسان العصور الأولى حيث لم تتضج أعضاء نطقه؛ بالإضافة لميوله، ورغباته المحددة، لذا جاء بعض الأصوات مبهمه وغير مفهومة أحياناً وبدون رغبة أو غرض معين.

ثانياً: مراحل الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض، والرغبات، المصحوبة بالإشارات المتنوعة التي تساعد الأصوات فطرياً في أن تبين عن أغراضها، وقد ساعد نمو أعضاء النطق، ونمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان على هذا التطور في الأصوات وتكيفها، وتنوعها؛ لاختلافها في الشدة والرخاوة، والجهر، والهمس، وغير ذلك، وتمثلها تلك الأصوات التي تصدر عن الطفل في نهاية السنة الأولى من عمره، حيث تكون مصحوبة بإشارات منبئة عن أغراضه بما فيها من دلالات على الخوف أو الحنين، أو النفور، أو الرضا، أو القلق، أو الاضطراب، أو الشعور بالحاجة إلى المعونة، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره، ويستغيث بغيره من بني جنسه.

ثالثاً: مرحلة المقاطع:

حيث صارت أصوات الإنسان غير المحددة المعالم إلى أصوات محددة، وفي صورة مقاطع قصيرة، مستنبطة من أصوات الأشياء أو الظواهر الطبيعية، أو متأثرة بها حيث يتأثر الطفل مثلاً في بداية عامه الثاني من عمره بمن حوله، يتأثر بهم فينطق مقاطع

متكررة حتى تنطبع في نفسه، وتكون منها لغته البدائية، نحو: "هوهو" عن الكلب، "نونو" عن القط، و"تك تك" عن الساعة، وغير ذلك.

رابعًا: مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع:

وقد وصل الإنسان إليها حين اكتمل عقله، ونضجت أعضاء صوته، واتسع نطاق حياته الاجتماعية وكثرت رغباته، واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره، وفي هذه المرحلة يتألف معجم الطفل اللغوي من الكلمات الشائعة في بيئته ممن يحيطون به.

خامسًا: مرحلة الوضع والاصطلاح:

وهي المرحلة الأخيرة للنمو اللغوي، وتصنعها حاجة الإنسان للاحتكاك ببيئته، ومسايرة اللغة المستخدمة لديه مع تفكيره وعقله، ومشاهداته، وكثرة التجارب، وتغاير دروب الحياة. وفي هذه المرحلة وضعت المصطلحات العلمية، وابتكرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة، وازداد النمو الفكري، وأوغل الإنسان في التحضر، وتتناسب هذه المرحلة مع الطفل عندما يذهب إلى المدرسة ويدرس العلوم والفنون، ويتعلم بعض المصطلحات العلمية والفنية المختلفة، ثم تأتي مرحلة التنسيق والتجميل للكلام شعرًا ونثرًا.

هذا هو مذهب التطور اللغوي في نشأة اللغة الإنسانية، ويمتاز بما يأتي:

يخضع نشأة وتطور اللغة إلى سنة التطور العام مثلها كالكائن الحي، ينشأ صغيرًا ساذجًا، ثم ينمو شيئًا فشيئًا، بحكم طبيعته وبيئته، فاللغة كظاهرة اجتماعية تخضع لعوامل التطور.

يشرح سر نمو اللغة متنا وأسلوبًا، ويعزو ذلك إلى تقدم ورقي الإنسان اجتماعيًا، وإلى حاجته لتنمية لغته لتساير حياته، ليستطيع التعبير عن أفكاره ورغباته.

١- وجود أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها، وأن الإنسان قد تأثر في إصدار الأصوات الساذجة أو المكيفة بما سمع من أصوات الحيوان أو الظواهر الطبيعية، معبراً عن آلامه ورغباته وانفعالاته وعواطفه.

-عدم إنكار هذا المذهب لأثر الاشتقاق والوضع في تنمية متن اللغة وتوسيع نطاقها. ❁ تلك هي أهم النظريات التي اشتهر أمرها في الكلام على نشأة اللغة الإنسانية عند القدماء من فلاسفة الإغريق، وعلماء الغرب المسيحي في العصور الوسطى، وعلماء اللغة، وأهل الكلام من العرب، وفلاسفة القرن الرابع الهجري وما بعده، والمحدثين من علماء اللغة في أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وأوائل القرن العشرين، وكلها نظريات لم تحل مشكلة النشأة اللغوية، ولم تفسرها تفسيراً يمكن أن تطمئن إليه، لعدم استقامتها على المنهج العلمي، وبعدها عن الواقع اللغوي المطابق لحياة الإنسان الأول. لذا يجب إخراج مسألة أصل اللغة ونشأتها من مجال البحث اللغوي، بينما ابن فارس يجعل البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام، بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر، ويقول(جسبرسن): إن علم اللغة لا يمكن أن يحجم إلى الأبد عن البحث في الوقت أو المكان الذي يتوقع أن يكون قد حدث فيه تطور لغوي.

والحق أن الإنسان بطبعه يميل للتطلع إلى المعرفة، فيجوز أن تكون هذه النظريات القديمة قد ظهرت نتيجة اهتمام الإنسان بأصله وطبيعته، فكل من الإنسان واللغة مترابطان، فمتى عرف نشأة اللغة عرف متى، وأين ظهر الإنسان.

وأرى: أن مباحث أو نظريات نشأة اللغة فيها كثير من المغالاة، ويرى بعض اللغويين أنه من الضروري إقصاء هذه المباحث التي لا تتعلق بفقهاء اللغة تعلقاً وثيقاً، بينما يجعل ابن فارس البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام، بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر، ومهما

يكن من أمر فإن موضوع نشأة اللغة لا يزال الخوض فيه من الأمور الفلسفية الميتافيزيقية التي تخرج الباحث فيه من نطاق الحقائق العلمية إلى البحث فيما وراء الطبيعة، وفي أمور لا تملك منها اليوم أية وثائق أو مستندات والله أعلم.

ومع ذلك فقد أعجبني رأي أستاذي د/ عبد الصبور شاهين" من المفيد لبيان أهمية اللغة أن يتساءل اللغوي عن نشأتها، مهما تكون عسيرة على التصور فهذا هو المدخل الطبيعي لدراسة الظاهرة المجهولة الأصل؛ ولإثارة خيال الدارسين حولها، وأمر لا يخلو من فائدة". ويقول أيضاً: "كما أنه في نظرنا ضرورة منهجية لا ينبغي تجاهلها"

وهكذا نرى أن كل النظريات التي حاولت من جانبها أن تفسر نشأة اللغة، وقد رفضها علماء اللغة جميعاً، لعدم قدرتها على أن تفسر إلا جانباً محدوداً (ضيّقاً) من اللغة؛ وذلك لأن أصل اللغة يغطيه الحجب، والغموض بسبب قدم عهده.

ومن الصعب علينا أن نهتك هذه الحجب إلا بالتخمين، والخيال، والغيبيات، وكلها مرفوضة لدى علم اللغة الحديث.

وسواء كانت هذه الأصوات ناشئة عن طبيعة الإنسان، أو أجمع على وجودها بالاصطلاح والمواضعة، أو بوحى إلهي وتوقيفي، أو نشأت للمحاكاة لأصوات الحيوانات أو الطبيعة، أو للأصوات الانفعالية، أو الأصوات الجماعية، أو المؤثرات الخارجية أو أن اللغة غريزة في الإنسان الأول، أو غير ذلك مما قيل في نشأة اللغة.

فإن اللغة: هي تلك الأصوات التي ينتجها جهاز النطق الإنساني معبراً بها عن إحساساته، وحاجاته اليومية المتعددة، وهي تعبير وتوصيل وتواصل، كما أنها أداة نستخدمها للتأثير في الغير.

الفصل الخامس

علم الدلالة

علم الدلالة

تعريفه - أسماؤه - موضوعه

علم الدلالة، يعرفه بعضهم بأنه:

(دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعاني) أو (ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول المعنى) أو (ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في- الرمز - حتى يكون قادراً على حمل المعنى).
لقد عرف بعضهم الرمز بأنه: (مثير بديل يستدعي لنفسه نفس الاستجابة التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره) ومن أجل هذا قيل إن الكلمات رموز لأنها تمثل شيئاً غير نفسها، وعرفت اللغة بأنها: نظام من الرموز الصوتية العرفية.

إن علم المعنى لا يقف فقط عند معاني الكلمات المفردة لأن الكلمات ما هي إلا وحدات يبنى منها المتكلمون كلامهم، ولا يملكون اعتبار كل منها حدثاً كلامياً مستقلاً بذاته، بعض الناس قد يظن أنه يكفي لبيان معرفة معني الكلمة الرجوع إلي المعجم ومعرفة المعنى أو المعاني المدونة فيه. وإذا كان هذا كافياً بالنسبة لبعض الكلمات، فهو غير كافٍ بالنسبة لكثير غيرها، وبالتالي يُمكن حصر أنواع المعنى في خمسة أنواع، وهي:

- المعنى الأساسي أو التصوري أو المفهومي.
- المعنى الإضافي أو العرضي أو التضمني.
- المعنى الأسلوبى.
- المعنى النفسى.
- المعنى الإيحائى.

ويمكن حصر النظريات التي تناولت المعنى في: (النظرية الإشارية، النظرية التصويرية- النظرية السلوكية- نظرية السياق- نظرية الحقول الدلالية- النظرية التحليلية).

من تعاريف المعنى:

الصورة الذهنية للشيء أو العلاقة بين الرمز والصورة- الشيء المشار إليه أو العلاقة بين الرمز والشيء الخارجى- الموقف والاستجابة لمثير كلامي معين- استعمال الكلمة في اللغة ودورها الذي تؤديه في صحبة غيرها- محصلة علاقات الكلمة بالكلمات الأخرى داخل الحقل الدلالي- تجمع من عناصر دلالية تمييزية ذات علاقة متبادلة.

ويتفق أصحاب هذه النظرية- إلى جانب ذلك- على مبادئ منها :

* لا يصلح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

* استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

على الرغم من وجود ظاهرة استخدام اللفظ الواحد في معنيين متضادين في كل اللغات فإن الاهتمام الذي لاقته هذه الظاهرة من اللغويين المحدثين كان ضئيلاً، وربما لم تشغل من اهتمامهم إلا قدرًا يسيرًا، ولم تستغرق مناقشتهم لها إلا بضعة أسطر.

ومن ذلك ما ذكره (أولمان) في كتابه المترجم " دور الكلمة في اللغة" أثناء حديثه عن تعدد المعنى: "من المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنباً إلى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أى إزعاج أو مضايقة.

وقد ألف (أبو هلال العسكري) كتابه " الفروق في اللغة" لإبطال الترادف وإثبات الفروق بين الألفاظ التي يدعى ترادفها.

وقد بدأ كتابه بعنوان: "باب في الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجباً لاختلاف المعاني في كل لغة" قال فيه:

" الشاهد أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني لأن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة. وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة. وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد. فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منها يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه، وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد، لأن في ذلك تكثير للغة بما لا فائدة فيه"

وهؤلاء الذين أنكروا الترادف أخذوا يلتمسون فروقاً بين الألفاظ التي تبدو مترادفة، ومن ذلك تفريق أبي هلال العسكري بين المدح والثناء بقوله: إن الثاني المدح المتكرر، وبين المدح والإطراء بقوله: إن الثاني هو المدح في الوجه. وكذلك تفريقه بين القديم والعتيق، وبين الخلود والبقاء، وبين الحب والود، وبين الإرادة والمشية، وبين الغضب والغيط، وبين الغضب والسخط، وبين السخاء والجود، وبين الجود والكرم.

يختلف مفهوم الترادف الكامل من لغوي إلى آخر حسب المنهج الذي اتبعه في تعريف المعنى، ونوع المعنى الذي يتحدث عنه.

ومن التعريفات الكثيرة للترادف نقتبس ما يأتي:

-التعبيران يكونان مترادفين في لغة ما إذا كان يمكن تبادلهما في أي جملة في هذه اللغة دون تغيير القيمة الحقيقية لهذه الجملة.

- الكلمات المترادفة هي: الكلمات التي تنتمي إلي نفس النوع الكلامي (أسماء - أفعال), ويمكن أن تتبادل في الموقع دون تغيير المعنى أو التركيب النحوي للجملة.

- يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية التصويرية إذا كان التعبيران يدلان على نفس الفكرة العقلية أو الصورة.

- يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية السلوكية إذا كان التعبيران متماثلين عن طريق اتصال كل منهما بنفس المثير والاستجابة.

- يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية التحليلية إذا كانت الشجرة التفريعية لإحدى الكلمتين تملك نفس التركيب التفريعي للأخرى, أو إذا اشترك اللفظان في مجموع الصفات الأساسية التمييزية.

ويشترط (إبراهيم أنيس) لتحقيق الترادف:

أ- اتحاد العصر.

ب- اتحاد البيئة اللغوية, أي: أن تكون الكلمتان تنتميان إلي لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات, ولا يصح أن نلتبس الترادف- كما فعل الأقدمون- من لهجات العرب المتباينة حين عدوا الجزيرة العربية كلها بيئة واحدة.

ج- الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة. وليس الحكم في ذلك الأدباء وذوي الخيال الخصب, وإنما جمهور الناس ومتوسطهم.

د- اختلاف الصورة اللفظية للكلمتين بحيث لا تكون إحدهما نتيجة تطور صوتي عن الأخرى. فليس من الترادف أَرَّ وهَرَّ, ولا أصر وهصر, ولا كمح وكبح.

وكلمة " حرامي" هي في الحقيقة نسبة إلى الحرام, ثم تخصصت دلالتها واستعملت بمعنى(اللس) في القرن السابع الهجري في بعض النصوص المروية.

وفي لهجات الخطاب تخصصت كلمة"الطهارة" وأصبحت تعني الختان وتخصصت كلمة" الحريم" فبعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يُمس أصبحت الآن تطلق على النساء, وكذلك كلمة" العيش" تخصصت في مصر بالخبز, وفي بعض البلاد العربية بالأرز.

ويمكن تفسير (التخصيص) أو (التطبيق), بعكس ما فسر به توسيع المعنى, فقد كان توسيع المعنى نتيجة إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ, أما (التخصيص) فنتيجة إضافة بعض الملامح التمييزية للفظ. فكلما زادت الملامح لشيء ما قل عدد أفرادها.

المشكلة الأساسية في عملية الترجمة بين لغتين هي محاولة إيجاد لفظ في لغة ما مطابق للفظ آخر في لغة أخرى, وهذا يفترض من البداية تطابق اللغتين في التصنيف, وفي الخلفيات الثقافية والاجتماعية, وفي مجازاتها واستخداماتها اللغوية, وفي أخيلتها وتصوراتها, وهو ما لا يتحقق ولا يمكن أن يتحقق مطلقاً. ويختلف اللغويون المحدثون في هذا مع أرسطو الذي كان يرى أن المعاني تتقابل تماماً من لغة إلى لغة, بمعنى أن أى كلمة في لغة يمكن أن نجد لها مرادفاً مطابقاً في اللغة الأخرى. فإذا كان الاختلاف موجوداً بين الفرد من أبناء اللغة, بل بين الفرد ونفسه من موقف إلى موقف, ومن حالة إلى حالة, فإنه موجود- ولا شك- بين اللهجة واللهجة, وبين اللغة واللغة.

علم الدلالة: الفرق بين المفهوم والمصطلح والتعريف:

يعتقد الكثير من الباحثين أن " المفهوم " و"المصطلح" و"التعريف" مترادفات لفظية, والواقع أن كل واحد منها يختلف عن الآخر؛ حيث لكل دلالاته وما هيته.

حدد الدكتور " وجيه المرسي أبو لبن " الفروق بين هذه الكلمات بطريقة جاذبة لافتة للنظر, وذلك على الوجه التالي:

المفهوم فكرة أو صورة عقلية تتكون من خلال الخبرات المتتابعة التي يمر بها الفرد؛ سواء كانت هذه الخبرات مباشرة, أم غير مباشرة, فعلى سبيل المثال: يتكون المفهوم الصحيح " للصلاة " من خلال خبرة المتعلم التي يكتسبها في المراحل التعليمية المختلفة, ومن خلال أدائه للصلاة على الوجه الصحيح, وكذلك يتكون مفهوم " الإنفاق في سبيل الله " لدى المتعلم من خلال المعرفة التي تقدم له في محتوى مناهج التربية الإسلامية, ومن خلال مواقف الحياة المختلفة, ويتسم كل مفهوم بمجموعة من الصفات والخصائص التي تميزه عن غيره, فمفهوم " الزكاة " يختلف مثلاً عن مفهوم " الحج " .

كما يشترك جميع أفراد المفهوم في الصفات والخصائص التي تميزه عن غيره من المفاهيم الأخرى, فالركوع" مثلاً أحد مفردات مفهوم الصلاة يختلف عن أحد مفردات مفهوم الحج كالطواف مثلاً, وهكذا.

وتعتبر خاصيتنا التجريد والتعميم من أهم خصائص المفهوم, فمفهوم " الإنفاق " مثلاً من المفاهيم غير المحسوسة, ويتجسد فيما يبذل من مال في سبيل الله, وهو في الوقت نفسه مفهوم عام يشمل: الإنفاق بالمال, أو الجهد, أو الوقت.

يختلف المفهوم عن المصطلح في أن المفهوم يركز على الصورة الذهنية أما المصطلح فإنه يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم, كما أن المفهوم أسبق من المصطلح , فكل مفهوم مصطلح, وليس العكس, وينبغي التأكيد على أن المفهوم ليس هو المصطلح, وإنما هو مضمون هذه الكلمة, ودلالة هذا المصطلح في ذهن المتعلم, ولهذا يعتبر التعريف بالكلمة أو المصطلح هو " الدلالة اللفظية للمفهوم" وعلى ذلك يمكن القول بأن كلمة الصلاة مثلاً ما هي إلا مصطلح لمفهوم معين ينتج عن إدراك العناصر المشتركة بين الحقائق التي يوجد فيها التكبير وقراءة القرآن, والقيام والركوع والسجود, والتشهد والسلام, وكلمة "الحج" مصطلح لمفهوم معين ينتج عن إدراكنا للعناصر المشتركة بين المواقف, كالإحرام, والطواف حول الكعبة المشرفة, والسعي بين الصفا والمروة, والوقوف بعرفات, والنزول بالمزدلفة, والرجم, والحلق أو التقصير, فالملاحظ مع كلمتي(الصلاة والحج)أنه تم تحديد الخصائص أو العناصر المتشابهة, ووضعها في مجموعات أو فئات أطلق عليها اسم المفهوم(الصلاة- الحج).

تترادف كلمة "مصطلح" و"اصطلاح" في اللغة العربية, وهما مشتقان من "اصطلاح" (وجذره صلح)بمعنى: "اتفق" لأن المصطلح أو اصطلاح يدل على اتفاق أصحاب تخصص ما على استخدامه للتعبير عن مفهوم علمي محدد, ومن يدقق النظر في المؤلفات العربية التراثية, يجد أنها تشتمل على لفظي: "مصطلح" و"اصطلاح" بوصفهما مترادفين, و" الاصطلاح" هو اتفاق القوم على وضع الشيء, وقيل : إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد".

والمصطلحات هي مفاتيح العلوم على حد تعبير الخوارزمي, وقد قيل : إن فهم المصطلحات نصف العلم, لأن المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم, والمعرفة مجموعة من المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في شكل منظومة, وقد ازدادت أهمية المصطلح وتعاظم دوره في المجتمع المعاصر الذي أصبح يوصف بأنه "مجتمع المعلومات" أو "مجتمع المعرفة", حتى إن الشبكة العالمية للمصطلحات في فيينا بالنمسا اتخذت شعار " لا معرفة بلا مصطلح" (على القاسمي).

التعريف في اللغة: من عرف الشيء , أى: علمه, وعرف الأمر, أى: أعلم به غيره, وعرف اللسان: ما يفهم من اللفظ بحسب وضعه اللغوي, وعرف الشارع: ما جعله علماء الشرع مبني الأحكام.

أما في الاصطلاح, فهو عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر, وينقسم إلى تعريف حقيقي, ويقصد به أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى, فيفسر بلفظ أوضح دلالة على ذلك المعنى؛ كقولك: الغضنفر(للأسد), وليس هذا تعريفاً حقيقياً يراد به إفادة تصور غير حاصل, إنما المراد تعيين ما وضع له لفظ الغضنفر من بين سائر المعاني.

الفصل السادس

علم اللهجات

علم اللهجات

اللهجات علم من علوم اللغة، وإن لم يذكره القدماء ضمن علومها، وهو على ما قرره مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات)^(١).

موضوعه :

من خلال التعريف السابق يتبين لنا أن علم اللهجات يتناول الظواهر اللغوية، التي تحدث في لغة من اللغات بسبب اختلاف اللهجات، أو التي يكون اختلاف اللهجات سبباً رئيساً فيها، وذلك كالإبدال في اللغة العربية، والفك والإدغام، والهمز والتسهيل، وقضايا المشترك والمتضاد، والمترادف...إلخ.

كما يتناول علم اللهجات إنقسام لغة ما إلى عدة لهجات مرتبطة بها، قلّت أو كثرت، والأسباب التي تؤدي إلى ذلك، والصلة بين اللغة الأم وبين ما تفرع عنها من لهجات فرادية ومحتممة، وبين كل لهجة وشقيقتها، وخصائص كل هذه اللهجات في مستويات التحليل اللغوية من أصوات، وبنية، وتركيب، ودلالة، وما يعرض لهذه اللهجات في صراعها وتفاعلها من قوة أو ضعف، وانزواء أو انتشار، وموت وحياء، وما يكون من سيادة إحداها على سائرهما كما حدث للهجة قريش-مثلاً- وبيان أسباب تلك السيادة، وقد تتحول إحدى اللهجات إلى لغة، عندئذ يتناول علم اللهجات أسباب ذلك، كما يدرس آثار كل لهجة في صاحبها، ومدى تأثيرها بها، ثم استنباط القوانين التي سارت عليها اللغة في ذلك كله.

أهمية علم اللهجات العربية:

دراسة اللهجات العربية لها أهمية كبيرة تتمثل فيما يلي^(٢).

(١) في اللهجات العربية: د/محمد أحمد خاطر، ص ٥، نقلاً عن: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، ص ٤، ٩٣.

(٢) انظر: فصول في فقه العربية، ص ٧٣، في اللهجات العربية، ص ٨.

أولاً: نحتاج في عصرنا هذا إلى الوقوف على مراحل تطور اللغة العربية، ومعالم كل مرحلة في تاريخها المديد، في الأصوات، والمفردات، صيغة ودلالة، وفي الجمل والتراكيب، ولنصبح على فهم أفضل للغتنا، ونتمكن من تقديم حلول دقيقة أقرب ما تكون إلى الدقة في كثير من قضاياها على مختلف المستويات، فنعرف لماذا أمانت أصوات، وتحورت أخرى، وننفي عنها شبه الاضطراب والفوضى التي رميت بها في كثير من ظواهرها ومباحثها، كالاشتراك اللفظي، والمتضاد، والمترادف، واختلاف الضبط، وكثرة المصادر والجموع السماعية، وظواهر الشذوذ المختلفة، كل ذلك ونحوه تقدم لنا فيه دراسة اللهجات حولاً نابعة من صميم اللغة ومنهجها.

ثانياً: اللهجات العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقراءات القرآنية، التي تمثل اللهجات جانباً كبيراً منها، ودراسة اللهجات دراسة واعية تفيد كثيراً في عزو هذه القراءات اللهجية إلى أصحابها، وهي خدمة جليلة للقرآن الكريم الذي قامت الدراسات العربية له وبه.

ثالثاً: تفيد دراسة اللهجات القديمة في الإجابة عن السؤال التالي: هل العربية الفصحى ولغة الشعر، عبارة عن حصيلة لهجات عدة، أم أنها لهجة قبيلة معينة، سادت واتخذها الشعراء قالباً، ينظمون فيه أشعارها؟

فدراسة اللهجات تقدم تحليلاً علمياً للتكوين اللغوي للغة العربية، حيث إنها تثبت أن الفصحى عبارة عن خليط من لهجات شتى، أسهمت كل قبيلة في صنعه بقدر قد يزيد أو ينقص، بحسب ظروف كل قبيلة ومكانتها.

رابعاً: تفتقر اللغة العربية إلى معجم تاريخي، شأنها في ذلك شأن غيرها من لغات متقدمة، بل هي إليه أشد حاجة، للارتباط الوثيق بين حاضرها ومستقبلها وبين ماضيها، ودراسة اللهجات القديمة والحديثة من أهم أسس وضع مثل هذا المعجم ويوضح "الرافعي" علة إهمال القدماء تدوين اللهجات العربية وأثر ذلك على الدلالة التاريخية في اللغة فيقول:

"ولابد لنا من التنبيه على أن الرواة والعلماء لم يدونوا اللهجات على مناطق العرب قبل تهذيب قريش للغة، ولكنهم تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الإسلام، وأشياء أصابوها في

أشعار العرب مما صحت روايته قبيل ذلك، أما سواد ما كتبه، فقد شافهوا به العرب في بواديها وسمعوه منهم وهم بلا ريب من بقايا اللهجات الأولى التي كانت لعهد الجاهلية.

على أنهم لم يدونوا من كل ذلك إلا كفاية الحاجة القليلة في تصاريف الكلام أو ما تنهض به أدلة الاختلاف بين العلماء المتناظرين، كالبصريين والكوفيين، أما تدوين اللهجات على أنها أصل من أصول الدلالة التاريخية في اللغة، فهذا لم يتنبه له أحد فيما نعلم، لأن أكبر غرضهم من جمع اللغة وتدوينها يرجع إلي علوم القرآن والحديث ولغتها قرشية، وهذه يقلّ الاختلاف فيها، لأنها حضرية مهذبة، والتحضر شيء ثابت فكأنها في حكم المدونة^(١).

وفي موطن آخر يوضح الفوائد التي كان يمكن تحصيلها لو أن علماء اللغة أعطوا اللهجات المنتشرة في الجزيرة العربية اهتماماً أكبر فقال:

" ولو أن منهم من نصب نفسه لجمع هذه الاختلافات وإفرادها بالتدوين بعد استقصائها من لهجات العرب وتمييز أنواعها بحسب المقاربة والمباعدة والنظر في أنساب القبائل التي تتقارب في لهجاتها تاريخياً والتي تتباعد وتعين منازل كل طائفة من جزيرة العرب والرجوع مع تاريخها إلى عهدها الأول الذي يتوارث علمه شيوخ القبيلة وأهل أنسابها لخرج من ذلك علمٌ صحيح في تاريخ اللغة وأدوار نشأتها الاجتماعية ويرجع إليه على تطاول الأيام، وتقادم الأزمنة، ولكان يُعدُّ أصلاً فيما يمكن أن يسمى تاريخ آداب العرب يفرعون منه ويحتنون مثاله في الشعر وغيره من ضروب الأدب.

ولكن القوم انصرفوا عن هذا وأمثاله لاعتقادهم أصالة اللغة، وأنها خلقت كاملة بالوحي والتوقيف، وأن أفصح اللهجات إنما هي لهجة إسماعيل عليه السلام، هي العربية القديمة الجديدة كما قال سيبويه.

(١) تاريخ أدب العرب، ج ٢، ص ١٠٨-١٠٩.

الدراسة المكتملة للهجات قديمها وحديثها تمكنها من اكتشاف القوانين التي سارت عليها العربية في تطورها، والعوامل التي وجهت هذا التطور وأثرت فيه وارتباط كل ظاهرة بمسبباتها في المكان والزمان.

خامساً: دراسة اللهجات في عصرنا الحاضر - خاصة - لها فوائد عملية كما في المجال العسكري، في أعمال التجسس، وبحث الشائعات، والدعايات المختلفة والحرب النفسية، وكذلك لدي رجال الشرطة حين يريدون أن يتسللوا إلي جماعة ما، أو تنظيم ما، أو عصابة مثلاً فلا بد للجاسوس ولرجل الشرطة من دراسة لهجة المنطقة التي يجمع منها المعلومات دراسة دقيقة، وإلا افتضح أمره وفشل في مهمته.

تكشف لنا دراسة اللهجات العربية الحديثة عن احتفاظها بعناصر لغوية كثيرة من اللهجات القديمة: مثل كسر أحرف المضارعة كما في نشرب، وتخفيف الهمزة في ريس وراس وفاس وغير ذلك.

فالبحث في اللهجات الحديثة يتبين منه أنها ترجع في كثير من الحالات إلي اللهجات العربية القديمة أكثر من رجوعها إلي اللغة الفصحى (الأدبية أو المشتركة).

سادساً: تفيد دراسة اللهجات الحديثة في تحديد الأماكن التي استقرت فيها القبائل العربية بعد الفتح الإسلامية، حيث إن كل منطقة نطقت العربية بلهجة من نزل بها من العرب.

سابعاً: دراسة اللهجات تمكننا من نسبة أقوام متفرقين في أماكن مختلفة إلي أصل واحد" فإذا اشترك قوم من الشام وقوم من المغرب في جملة خواص لقبيلة واحدة تكفي تلك الخواص للتمييز وحكم بأنهم من أصل واحد ولسبب من الأسباب الكونية قضي الزمان بتفرقهم وتشتيتهم في النواحي"^(١).

(١) مميزات لغات العرب، حفني ناصف، ص ٩.

ثامناً: دراسة اللهجات ضرب من المعرفة المجردة فإن ساغ لأحد أن يغفلها فلن يسوغ ذلك لدارس اللغة والمهتم بأمرها.

صعوبات دراسة اللهجات القديمة:

دراسة اللهجات العربية القديمة تواجه بصعوبات عديدة فدراستها لم تكن بالأمر الهين, وذلك لما يلي:^(١).

دراسة اللغة بصفة عامة تقتضي السماع من أفواه أصحابها وهذا لا يتحقق عند دراسة اللهجات القديمة ولا سبيل إليه الآن لذا يكون الاعتماد في دراستها على ما دونه السابقون عن هذه اللهجات, وحينئذ يكون من الضروري الإطلاع على أكثر التراث العربي من كتب اللغة والتفسير والحديث والأدب والتاريخ والطب وغيرها, لأن الاهتمام بالمسائل اللغوية- قديماً- لم يكن مقصوراً على اللغويين وحدهم فقد نجد كثيراً من المسائل اللهجية القديمة عند الجغرافيين والمؤرخين والأطباء وغيرهم إهمال اللغويين في كثير من الأحيان نسبة اللهجات إلى أصحابها واكتفاؤهم بعبارة " وهي لغة" .

ويضاف إلى ذلك اختلاف اللغويين أحيانا في نسبة اللهجة إلى قبيلة معينة فهذا ينسبها إلى قبيلة وذاك ينسبها إلى أخرى, صحيح قد تكون اللهجة مما تنطقها هذه وتلك ولكن لا يلزم دائماً.

وعلى ذلك فمن الضروري جدا محاولة عزو اللهجات المجهولة, والتوفيق بين أوجه الخلاف السائدة بين اللغويين العرب في نسبة لهجة من اللهجات إلى قبائل عدة. من الصعوبات -أيضاً- ما ترتب على تحديد النطاق المكاني للقبائل التي تؤخذ عنها اللغة كما جاء في قول أبي نصر الفارابي:

والذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ , وعليهم اتكل في الغريب وفي

(١) انظر : مقدمة في اللهجات العربية, د. الموفي الرفاعي البيلي, ص ٢١١.

الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

وبهذا الصنيع طرح اللغويون باقي اللهجات العربية واعتدوها مرغوبا عنها ووصفوها بأوصاف مختلفة: فهي ضعيفة أو رديئة أو شاذة أو منكرة..... الخ.

ونتج عن ذلك ضياع كثير من الثروة اللغوية قال أبو عمرو بن العلاء: "مانتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"^(١).

شك بعض اللغويين في بعض الصور النطقية وهي لهجة أم لثغة, صعوبة تضاف إلى الصعوبات السابقة التي تواجه دارس اللهجات القديمة ففي المحكم لابن سيده: " والمرميس: الداهي من الرجال.... وقد قالوا: مرميت فلا أدري ألغة أم لثغة"؟.

ويقول الجوهري: " الجنث: الأصل يقال: فلان من جنثك وجنسك أي من أصلك لغة أو لثغة أي أنه لا يدري هل الجنث- بالثاء- من قبيل اللهجات أو من قبيل اللثغات".

ويقول أيضاً: الضرب الشديد بالرجل على الأرض, لغة في الوطس أو لثغة.

وإذا كان اللغويون القدماء قد شكوا في مثل هذه الألفاظ مع توافر أدوات البحث لديهم من مشافهة الأعراب, أو قرب عهدهم بهم, فإن الأمر بالنسبة لنا أشد صعوبة ويحتاج إلى طول إطلاع ودقة بحث.

التصنيف والتحريف اللذان ابتليت بهما الكتابة العربية طمسا كثيراً من المعالم الصحيحة لبعض اللهجات العربية التي رويت لنا من ذلك قول الفيروز آبادي: لا وبها سُودة- بالضم- أي بقية من الشباب وهذا تصنيف سورة لأن مادة(س. أ.د) لا تتاسب هذا المعنى.

وقوله: " رد الروزذة: الذهاب والمجيئ وهذا تصنيف الرودة(بالدال المهملة) من راد يروود بمعنى: ذهب وجاء.

(١)طبقات فحول الشعراء. ٢٥/١, الاقتراح, ص ٦٢.

مصادر دراسة اللهجات:

تعتمد دراسة اللهجات القديمة والحديثة على عدة مصادر تستقي منها مادتها, وهذه المصادر منها ما هو خاص باللهجات القديمة ومنها ما هو خاص باللهجات الحديثة ومنها ما هو مشترك بين القديمة والحديثة على السواء ومن هذه المصادر:

القراءات القرآنية:

وهي أهم مصادر اللهجات القديمة وأوثقها جميعاً وذلك لما يلي:
أ- أن القرآن الكريم نزل على أفصح الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء : آية ١٩٥) ولغة عربية فصحة منتقاه من لهجة قریش ولهجات قبائل عربية أخرى تأليفاً لقلوب العرب أجمعين وجمعاً لهم على كلمة واحدة.

وعلى هذا فالقراءات القرآنية قد أتت ممثلة لهذه اللهجات لأن قراء القرآن الكريم كانوا من جزيرة العرب التي اشتملت على هذه القبائل جميعاً وبذلك تتوطد الصلة بين القراءات واللهجات خاصة وأن بعض العلماء يفسر المراد " بسبعة أحرف" في الحديث المشهور: " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقراءوا منه ما تيسر " بسبع لهجات.

ب- أن العلماء وضعوا للقراءة الصحيحة شروطاً ثلاثة لا بد من توافرها فيها وإلا لم تعد صحيحة وهي:

أن تكون متواترة, وأن توافق الرسم العثماني, وأن توافق العربية ولو بوجه, وهذا الشرط الأخير (موافقة العربية ولو بوجه) هو ما يمكن تفسيره هنا بصحة القراءة بلهجة العرب على اختلافها.

يقول ابن خالويه: "فإنني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة والمعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ المأمونين على تأدية مذهبها من مذاهب العربية لا

يدفع وقصد من القياس وجها لا يمنع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار^(١).

ج - وثقافة منهج نقل القراءات القرآنية فهو يختلف في طريقة نقلها عن الطريق التي نقلت بها المصادر الأخرى كلها: كالشعر والنثر، بل اختلفت طريقة نقلها عن طريقة نقل الحديث الشريف، إذا كانت ولا زالت تعتمد على التلقين والتلقي والعرض^(٢).

المأثور عن العرب مما حفظته لنا بطون الكتب:

القدماء لم يتركوا لنا مؤلفا مستقلاً في اللهجات وإنما جاءت إشارات عنها متناثرة في بطون كتب التراث من لغة وأدب وتفسير وتاريخ ونحو ومعاجم وكتب الطبقات والتراجم بل في كتب الجغرافيا والطب وغير ذلك من كتب التراث المختلفة، كما نجد مادة لهجية في كتب أو رسائل اللغات سواء أكانت في القرآن أم في لغات القبائل وهي على قلتها من المصادر النافعة المباشرة.

فمن المعلومات اللهجية المهمة تلك التي قدمها-عفا أو قصداً-فريق من العلماء من اللغة المستعملة في أيامهم أمثال الجاحظ(ت٢٥٥هـ) في "البيان والتبيين" و"البخلاء" وغيرهما من مؤلفاته مثل: الهمداني(ت٣٣٤هـ) في "صفة جزيرة العرب" والمقدسي(ت٣٧٥هـ) في "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" وابن خلدون(ت٨٠٨هـ) في مقدمته وغيرهم.

كذلك نجد مادة لهجية مهمة في الكتب التي ألفت في التنقية اللغوية ولحن العامة مثل: "ما تلحن فيه العامة" للكسائي(ت١٨٩هـ) و"إصلاح المنطق" لابن السكيت (ت٢٤٤هـ)، و"

(١) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص ٦١ - ٦٢.

(٢) انظر: دراسات في اللهجات العربية، د. فتحي الدابوني، ص ١٠٩.

أدب الكاتب" لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ), و" درة الغواص في أوهام الخواص"
للحريري(ت٥١٦هـ).

في اللهجات الحديثة حقائق عن اللهجات القديمة:

إن دراسة اللهجات المعاصرة تكشف لنا حقائق عن اللهجات العربية القديمة وذلك أن
كثير من العاميات في لهجاتنا الحديثة يتفق مع لهجات عربية قديمة ومن ذلك أن لهجة
الحجازيين تقول في اسم المفعول إذا صيغ من الثلاثي الأجوف كقال وباع: مقول مبيع, أما
التميميون فيقولون اسم المفعول من الأجوف اليائي يقولون: مبيوع, وعلى هذه اللهجة نقول
الآن في لهجتنا العامية: فلان مديون وهذا الشيء مبيوع أو معيوب..... إلخ.

وفي عاميتنا ما يتفق في اللفظ والمدلول مع الفصحى, مثل الوكس بمعنى البخس في
الثلث, وتشل اللحم ينشله عامية وفصحى, والعباية التي هي ضرب من الأكسية, وفي
العامية والفصحى سواء.

ما كتبه المستشرقون والغربون عامة:

فهؤلاء كتبوا عن اللهجات العربية القديمة والحديثة سواء أكان ذلك عن حسن نية بهدف
الدراسة العلمية واحتذاء لما يفعلونه بلغاتهم أم عن سوء نية ابتغاء القضاء على الفصحى
وإحلال العاميات محلها.

وممن كتبوا عن اللهجات العربية القديمة: تشيم رابين وكتابه بعنوان: " اللهجات العربية
في غرب الجزيرة العربية" وترجمه إلي العربية الدكتور عبدالكريم مجاهد, كما ترجمه من قبل
الدكتور عبدالرحمن أيوب, وكتب عن اللهجات الحديثة كثير من المستشرقين منهم: جوستون
وكتابه بعنوان: " دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية" ترجمه إلي العربية الدكتور أحمد
محمد الضبيب.

ما كتب عن اللهجات بأيدي علماء العربية :

فقد اتجهت عناية كثير من علماء العربية في العصر الحديث إلي الكتابة في علم
اللهجات فكتبوا عن اللهجات القديمة والحديثة على السواء وكانت لهم دراسات ذات قيمة

كبيرة في هذا المجال وبعض هذه الدراسات نال بها أصحابها درجة " الماجستير " وبعضها الآخر نال بها أصحابها درجة " الدكتوراه " كما أن بعضها كان دراسات لم يقصد بها أصحابها نيل درجة علمية.

من مصادر اللهجات الحديثة خصوصاً :

السماع وهو أفضل وسيلة لدراسة اللهجات ويحتاج إلي فطنة وتوقد ذهن ويستعين الدارسون بآلات التسجيل ليتمكنوا من سماع ما تم تسجيله أكثر من مرة وفي أي وقت شاءوا.

كما يمكن الاستعانة في دراسة اللهجات الحديثة بما كتب بها " في مصر وغيرها وما صدر بها من أعمال أدبية في القصة أو المسرحية أو الشعر أو الفكاهة أو غيرها في كتب أو دوريات.

نشأة الدراسة اللهجية:

أولاً : عند العرب :

أشرنا من قبل إلي علماء العربية القدامى لم يتركوا مؤلفاً مستقلاً في اللهجات العربية ولكن ليس معني ذلك أنهم أهملوها بالكلية فقد ألف كثير منهم كتباً أطلقوا عليها اسم " اللغات " من هؤلاء: يونس بن حبيب(ت٢٨٣هـ) والفراء(ت٢٠٧هـ) وأبو عبيدة(ت٢١٠هـ) والأصمعي(ت٢١٢هـ) وأبويزيد الأنصاري(ت٢١٥هـ) وغيرهم.

كما ألفوا في " لغات القرآن " من ذلك " اللغات في القرآن " رواية ابن حسنون المقرئ المصري بإسناده إلي ابن عباس- رضي الله عنهما- وكتابه: " ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل " لأبي عبيد القاسم بن سلام.

وقد وردت إشارات كثيرة في كتب التراث على اختلاف اهتماماتها إلي اللهجات العربية, كما وردت موضوعات خاصة باللهجات في كتب الأقدمين ففي " الخصائص " لابن جني(ت٣٩٢هـ) " باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً " و" باب في تركيب

اللغات" و" باب اختلاف اللغات وكلها حجة" و" باب في العرب يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها أم يلغيتها ويطرح حكمها".

وفي " الصاحبى " لابن فارس(ت٣٩٥هـ) و" باب القول في اختلاف لغات العرب" و" باب اللغات المذمومة" و" باب انتهاء الخلاف في اللغات", وفي " المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للسيوطي نجده قد خصص النوع العاشر لمعرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات, والنوع الحادي عشر لمعرفة الرديء المذموم من اللغات, والسادس عشر لمعرفة مختلف اللغة , والسابع عشر لمعرفة تداخل اللغة.

وفي العصر الحديث نمت دراسة اللهجات العربية وازدهرت على الرغم من صعوبتها فكانت أول دراسة للهجات الرسالة التي ألفها المرحوم: حفني ناصف بعنوان " مميزات لغات العرب تخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك" وقد ألقاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في فينا سنة ١٨٨٦م, ثم جاءت بعد ذلك الدراسة القيمة للمرحوم الدكتور: إبراهيم أنيس تحت عنوان " في اللهجات العربية" وتعد هذه الدراسة مصدراً مهما لكل من كتب عن اللهجات في العصر الحديث.

كما ألقت رسائل جامعية خاصة في اللهجات العربية, وأهمها جميعاً " اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة" للدكتور: أحمد علم الدين الجندي- دكتوراه سنة ١٩٦٥م وقد طبعت تحت عنوان: " اللهجات العربية في التراث".

وقد خصص مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدراسات اللهجية لجاناً خاصة تضم عدداً كبيراً من المتخصصين في هذا الشأن, وما ذلك إلا لأهمية هذا النوع من الدراسات, كما خصصت لها الجامعات المصرية مساحات في مناهجها الدراسية.

ثانياً: عند الغربيين:

لم تلق الدراسات اللهجية عند الغربيين اهتماماً يذكر إلا في نهاية القرن الثامن عشر حيث بدأت تدور بين العلماء " مناقشات تتعلق بمستوى الصواب اللغوي وبمشكلة انقسام اللغة إلي لهجات ومشكلة اللهجات الطبقيه"^(١).

وعلى الرغم من هذه المناقشات إلا أنها لم تكن بالقدر الكافي فقد كان العلماء حتى ذلك الوقت عازفين عن دراسة اللهجات وذلك للأسباب الآتية^(٢).

أ- اتساع مجال البحث في اللغة الفصحى فلم يكن لديهم متسع لدراسة اللهجات.

ب- نظرة العلماء في ذلك الوقت- إلي دراسة اللهجات على أنها مصدر خطر على الأدب ولذا ينبغي الاقتصار في الدراسة على الفصحى.

ج- دراسة اللهجات تتطلب الأسفار والرحلات للوقوف على مصادرها من أصحابها وذلك يتنافى مع طبيعة علماء اللغة في ذلك الوقت فقد كانوا يؤثرون الراحة.

وفي القرن التاسع عشر " كانت النتائج ذا قيمة كبيرة حيث تركز الاهتمام على الصيغ اللهجية وعلى أنواع من الكلام لم يكن ينظر إليها حتى تلك اللحظة إلى على أنها لغات تافهة لا تستحق الدراسة وحيث إن اللهجات لم تكن من جميع جوانبها- مسجلة في خلال تطورها التاريخي فقد أدي هذا إلى توجه الاهتمام إلى اللغات الحية ولهجاتها المتشعبة"^(٣).

ثم واصلت دراسة اللهجات تقدمها في القرن العشرين على هذا فهي من العلوم الحديثة يقول الدكتور: إبراهيم أنيس: " تعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية فلقد نمت هذه الدراسة بالجامعات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت الآن عنصراً هاماً بين الدراسات اللغوية الحديثة وأسست لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها تعني بشرحها وتحليل خصائصها وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً يبقى على الزمن"

(١) أنس علم اللغة, ص ٢٣١.

(٢) انظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً, ص ٣٨٨ - ٣٨٩, دراسات في اللهجات العربية, ص ٥.

(٣) أنس علم اللغة, ص ٢٣٤-٢٣٥.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن دراسة اللهجات تقدمت تقدماً واضحاً في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على يد مجموعة من علماء اللهجات الغربيين من أمثال: جاستون باريس وأنطوان توماس الفرنسيين وكورنو وأسكولي الإيطاليين ومن أشهر المشتغلين بتلك الدراسة " الأب روسلو" الذي اهتم بالناحية الصوتية في اللهجات و " جيليرون" الذي درس اللهجات من ناحيتها الدلالية"^(١).

اللهجة تعتبر اللغة من أهم ركائز الأمم والمجتمعات, فمن خلالها تعرف كل أمة تاريخها ونسبها, وعن طريقها يظهر المجتمع مدى تقدمه ورفيحه. اللغة كالإنسان بالأخذ والعطاء والنشأة والحياة, وهي دائمة الاتساع والتطور, وتولد وتموت وتدخل في العديد من الاحتدامات والصراعات, التي تحدد مدى قوتها وتماسكها, فإن كانت لغة ضعيفة فإنها ستقع تحت تأثير غيرها من اللغات, وربما ستحل محلها إلى أن تموت في نهاية المطاف, وهذا ما حدث مع اللغة اللاتينية القديمة, والأكاوية السامية والعبرية القديمة وغيرها من اللغات.

وفي ظل تلك الصراعات تنشأ أشكال أخرى للغة, وتعيش تلك الأشكال في أكناف اللغة الأصلية(اللغة الأم), حيث تأخذ في الوصف ملامح اللغة الأم باختلاف التفاصيل, وقد أطلق على هذه الأشكال اسم (اللهجة).

تعريف اللغة واللهجة: اللغة جاء في معاجم اللغة تعريف (الخليل) للغة والوارد في

(معجم العين), حيث قال: " اختلاف الكلام في معنى واحد".

قال (ابن حبيب): " بأن حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى" وجاء (ابن جني) بتعريف للغة يعتبر سابقاً لزمانه, حيث قال فيه معرفاً للغة: " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم", جاء تعريف ابن خلدون متمماً لتعريف ابن جني, ليعطيه شكلاً تفصيلاً أكبر, وهو: " أعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده, وتلك العبارة فعل

(١) أنظر: اللهجات العربية, د. هلال, ص ٣٩٠.

لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام, فلا بد أن ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان, وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم".

لم يأت على تعريف ابن خلدون إلا الغربيين فقد قال (يسبرسن) معرفاً للغة: " ينظر للغة عن طريق الأذن والفم, لا عن طريق العين والقلم".

ورد في دائرة المعارف البريطانية بأن اللغة: عبارة عن نظام من الرموز الصوتية, وجاء هذا التعريف مماثلاً لتعريف (فرديناند دي سوسير) الذي اعتبر أن اللغة: هي مجموعة من علامات لسانية منظومة في نسق معين تم وضعها للتواصل والتفاهم. اللهجة أورد (الخليل) في معجم العين تعريفاً لها, حيث قال: بأن اللهجة طرف اللسان, وقيل أنها جرس الكلام, وعرفت بأنها فصيح اللهجة, واللهجة هي اللغة التي جبل عليها, فاعتادها ونشأ عليها.

أورد (الزبيدي) إثر نقل تعريف الخليل فقال: " بهذا ظهر إنكار شيخنا على من فسرها باللغة لا الجارحة وجعلها من الغرائب قصور ظاهر كما لا يخفى".

الفرق بين اللغة واللهجة يستدل من تعريف (الزبيدي) عن معنى اللهجة في المعاجم العربية, بأنها طريقة أداء النطق أو اللغة, أو ما يقال عنه بأنه نغمة الكلام, أو جرس الكلام, أما المحدثون فقد عرفوا اللهجة على أنها الخصائص, والصفات التي تميز بنية ما في طريقة أداء النطق أو اللغة.

فنستنتج من كل ما سبق بأن اللغة هي عبارة عن طريقة تواصل ناطقة, وهذه اللغة تختلف من مجتمع لآخر, أما اللهجة فلم تكن معروفة بالمعنى الحديث, وإنما كانت تعرف باسم جرس اللسان لكل أمة وكيفية استخدامها للغة الأم.

في الماضي لم يكن مصطلح اللهجة معروفاً كما هو معروف حديثاً في الدرس اللغوي, ورغم هذا فإن كتب الأقدمين تعرضت لما يطلق عليه اليوم لهجات القبائل, مثل: كشكشة ربيعة, ونعنة تميم, وغيره, لكن لم يكن يطلق عليها مصطلح لهجات, بل كان يطلق عليها لغة.

الفصل السابع

تاريخ الدراسات اللغوية

أولاً: نبذة تاريخية عن الدراسات اللغوية القديمة:-

من الثابت تاريخياً أن أول المجتمعات اهتماماً بدراسة اللغة هي المجتمعات التي كانت للغتها علاقة مباشرة بالدين كما نرى بالنسبة للغة السنسكريتية في الهند، اليونانية واللاتينية في أوروبا، العربية في البلاد الإسلامية.

ومن الثابت أيضاً أنه ما قبل القرن الرابع الميلادي لم يكن لدينا نتاج لغوي هام.. فقد أكتشف العلماء الأوربيون في القرن التاسع عشر كتاب اللغة السنسكريتية الذي وضعه "بانيني"^(١) في الهند، في القرن الرابع بهدف ديني وهو دراسة كتابهم المقدس آنذاك واعتمد في دراسته على الدراسة الوصفية للنظام الصوتي والتركيبي وصفاً دقيقاً للغة السنسكريتية.

أما الإغريق واليونان فإن بصمتهم الأكثر وضوحاً في الدراسات اللغوية إنما كانت تتعلق بطبيعة اللغة ونشأتها فمنهم من رأى أن اللغة ظاهرة طبيعية كأفلاطون ومن تبعه... بينما رأى فريق آخر ومنهم أرسطو أن اللغة ظاهرة إجتماعية ومن هذا الخلاف نشأت النظريتان المعروفتان المسماه " بالنظرية التوقيفية" و " النظرية التوفيقية" ..

أما دراستهم لقواعد لغتهم فقد تأخرت كثيراً واعتمدوا فيه على " القواعد المعيارية"^(٢). التي لم تتغير بتعاقب القرون حتى أصبحت في النهاية تشير إلى لغة غير موجودة ولا مستعملة إطلاقاً.

(١)بانيني "Panini" نحوي هندي عاش في القرن الرابع الميلادي(حوالي ٣٥٠ إلى ٢٥٠ ق.م) وقد وصف القوانين الصوتية والنحوية للغة السنسكريتية وصفاً على درجة كبيرة من الدقة.

. راجع بالتفصيل: مقدمة في علوم اللغة، د. البدرابي زهران، ص ٩، هامش(٤) واللغة والنحو، د. محسن عون، ص ٣٥.
(٢)كثيراً ما أخذ على الأراء النحوية القديمة إنها كانت معيارية أكثر منها وصلبة بمعنى أن النحاة الأقدمين تناولوا التركيب اللغوي كما ينبغي أن يكون لا كما هو كائن بالفعل.. وقد نسى هؤلاء الناقدون أن القواعد النحوية مثل نظم الكتابة.. كانت في البداية إنعكاسات دقيقة للحظة موجودة بالفعل، ولكن أوضاع اللغة تتغير دون أن تجارها القواعد النحوية والنظم الكتابية مما يؤدي في النهاية إلى تحكيم بقايا من مرحلة قديمة من مراحل اللغة، نتج عن ذلك أن ظهر إتجاه نحو إعتبار النماذج القديمة بمثابة المثل اللغوية، والنظر إلى النماذج الحديثة التي طرأت على أساليب الكلام على أنها إسراف وابتذال يجب مقاومته.

*راجع بالتفصيل: أسس علم اللغة ، ماريوباي، ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر، ص ٢٢٧.

أما عند العرب فقد ازدهرت لديهم العلوم اللغوية لأنها لغة القرآن وكانت الدراسات القرآنية هي فتح الدراسات اللغوية العربية.

لقد ناقش العرب في دراساتهم الموضوعات العامة مثل: طبيعة اللغة ونشأتها وطبيعة الأصوات وقيمتها التعبيرية والمعنوية... إلخ.

وفيما يتعلق بقواعد اللغة فقد كان كتاب "الكتاب" لسيبويه الإمام في ذلك حينما ألفه في القرن "الثاني الهجري" أي الثامن الميلادي" وأصبح المرجع لمن أتى بعده.

وكان المنهج الذي اتخذه سيبويه في كتابه هو المنهج الوصفي^(١).. إلا أن إستعماله لطريقتي القياس والتعليل كان واضحاً أيضاً في الكتاب والذي شمل في دراسته مراحل مختلفة مرت بها اللغة العربية تقدر بثلاثة قرون, وكل من تبعه من اللغويين بعد ذلك استعمل قواعده قواعداً معيارية واخضعوا لها كل ما يقال ويكتب.

أما في أوروبا في العصور الوسطى فقد تجمدت الدراسات اللغوية أو كادت إذ كانت اللغة اللاتينية هي اللغة المسيطرة تستعمل في الصلوات والشعائر الدينية فقط ولم يكن أحداً يتحدث بها في حياته اليومية.

وفي عصر النهضة الأوروبية بدأ اهتمام الشعوب المختلفة بلغاتها الخاصة ووضعوا للغاتهم الجديدة قواعد مشابهة لقواعد اللغة اللاتينية.

(١) فقد أشار د/ عبده الراجحي إلي قول سيبويه أن الأحكام إنما تجرى على كلام العرب إذ تتكرر في كلامه عبارات من نحو: (فأجره كما أجره)..

* راجع بالتفصيل: النحو العربي والدرس الحديث, ص ٥٦.. كما أورد د/ تمام حسان بعض نماذج الوصف عند سيبويه وابن فارس وابن جني في كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية, ص ١٩..

* ويذهب د/ الراجحي إلى أن أبرز مظاهر الوصف عند العرب غلبة الصبغة التقريرية على عمل النحاة الأوائل فلم يكن ما قرروه تأويلاً أو تعليلاً بل أنه يمثل "بابن فارس والثعالبي اللذين لا يخرجان عن هذا المنهج التقريري إذ لا نجد تعليلاً للظواهر التي يوردانها.

* راجع: فقه اللغة في الكتب العربية, ص ١٨١.

وفي القرن الثامن عشر عادت مرة أخرى الدراسات اللغوية العامة المتعلقة بطبيعة اللغة على يد كل من: روسو وكونديال الفرنسيان وهردر الألماني. ثم بدأ الاهتمام بالدراسات المقارنة والتاريخية على يد كل من: راسك وجريم وفرنر... وامتد هذا النشاط من الدراسات حتى أمكن الوصول إلى ما يمكن اعتباره للغة الأم للغات الهندو أوروبية.

ثانياً: الاتجاهات اللغوية المعاصرة

أولاً: النصف الأول من القرن العشرين

رأينا كيف تميز القرن السابع عشر بالدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة وكان الهدف الأساسي منها هو معرفة صلات القرابة بين اللغات المختلفة وبخاصة الأوروبية منها وتصنيف تلك اللغات بموجب تلك الصلات واستتباط بعض القواعد الصوتية والصرفية والنحوية التي اتبعتها تلك اللغات.

وقد استطاع علماء تلك الفترة التوصل إلى تقسيم اللغات العالمية إلى أسرة كبيرة يندرج تحت كل منها عدد من اللغات الحديثة.. كالأسرة الهندوأوروبية، والأسرة السامية الحامية والأسرة الصينية التبتية والأسرة القوقازية... إلخ.

وكانت تلك الدراسات هي أهم ما قدمه علماء اللغة في القرن التاسع عشر.

أما القرن العشرين فيعتبر المنهج العلمي⁽¹⁾ في البحث هو الطابع المميز بالنسبة لفروع المعرفة المختلفة، وقد شهدت الدراسات اللغوية خلاله ثلاثة اتجاهات متعاقبة كل منها طبع الأبحاث اللغوية التي تمت في حقبة معينة من الزمن بطابع موحد إلى حد كبير ومتميز عما سبقه ولحقه.

(1)سنورد المقصود بالمنهجية العلمية بالتفصيل فيما بعد وأهم شروطها.

ويعتبر العالم السويسري "دي سوسير"^(١) هو رائد الربع الأول من القرن العشرين بلا منازع وذلك بكتابه المعنون "محاضرات في علم اللغة" والذي نشر بعد وفاته. بثلاث سنوات عام ١٩١٦م.. وقد جسد في كتابه الأفكار والاتجاهات في البحث اللغوي التي طبعت النصف الأول من القرن العشرين بطابعها ولم يضاهيه في الأثر أي كتاب آخر إلا بعد مرور أكثر من أربعين عاماً.

وقد تميز دوسوسير بالبعد في دراسته عن النظر في اللغات من وجهة النظر التاريخية أو المقارنة، وأكد أن أفضل منهج لدراسة اللغة هو محاولة وصفها كما هي في فترة زمنية محددة وأن نصل من خلال الوصف إلي القواعد والقوانين التي تحكم تلك اللغة ونتوصل إلي معرفة بنيتها وتراكيبها.

ومن هنا عُدَّت أفكاره ثورة حقيقية في الدراسات اللغوية تجابه المنهج التقليدي والسابق عليه والمبني على القواعد التقليدية المعيارية.

هذا وقد أكد دوسوسير على مظهرين لغويين هما^(٢):-

(١) هو الأب الحقيقي للدراسات اللغوية الحديثة فرديناند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣م) أستاذ اللغويات بجامعة جنيف وصاحب الجملة الأكثر شهرة في الدراسات اللغوية الحديثة (إن موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها)..

*راجع بالتفصيل: علم اللغة العام، د/ عبدالصبور شاهين، ص ١٣ وما بعدها.

(٢) هذا وقد حدد د/ عبد الراجحي أصولاً ثلاثة ينهض عليها منهج دي سوسير وأشار بعد ذلك إلي أهم ما ميز اتجاه دي سوسير العلمي وهو:-

١- إن إتجاه دي سوسير إلي دراسة اللغة باعتبارها واقعة اجتماعية عامة إنما نتيجة تأثره بأراء دوركايم وهي التي أدت إلي اعتبار اللغة (Lalangne) ميدان البحث اللغوي..

وأنه مع تأثره بدوركايم كان يسعى إلي أن يكون علم اللغة علماً مستقلاً بذاته.

٢- أن رفضه للمنهج التاريخي كان رفض العارف بحقائقه وأصوله مما أدى إلي اعتبار المنهج الوصفي الطريق الوحيد لبحث اللغة على أساس علمي وهو صاحب الفضل في التمييز بين المنهجين.

٣- أنه هو الذي اقترح فكرة دراسة اللغة باعتبارها نظاماً من العلاقات كي يتسنى تطبيق مبدئ البحث العلمي عليها.

٤- هو صاحب التصورات الثلاثة المتكاملة للغة Lalangne ، وهي هنا ظاهرة انسانية عامة واللغة languc بمعني اللغة المعنية والكلام.

أولاً: البنية اللغوية.

ويقصد بها التركيب الداخلي من صرف ونحو بإعتبار أنه أهم مميزاتها وأن الوصول إلي قواعد هذا التركيب الداخلي هي أهم مراحل الدراسة اللغوية كما أكد على أهمية اللغة المنطوقة بإعتبارها المظهر الأولى والأساسي للغة..

ثانياً: أن اللغة مظهر اجتماعي (ظاهرة اجتماعية) وأن العلاقة بين الرموز والمعنى على الرغم من أنها عشوائية, إلا أنها إصطلاحية إتفاقية ثابتة بالنسبة للغة الواحدة والمجتمع الواحد.

كما كان من أهم ما توصل إليه دي سوسير والذي كان له أكبر الأثر في اتجاهات علماء اللغة في النصف الثاني من القرن العشرين هو تمييز بين مفهومين للغة^(١).. أطلق على أحدهما مصطلح اللغة أو اللسان "Langue" وأطلق على الآخر الكلام "parole" ..

*راجع بالتفصيل: النحو العربي والدرس الحديث, الفصل الأول.

ويرى د/ عبد الصبور شاهين أنها (اللغة واللحن والكلام في علم اللغة العام), ص ٢٩..

(١) كان القدماء يفرقون بين "اللغة" و"العربية" يقول صاحب شرح المفصل: والمراد بالعربية وأن كانت العربية أعم من اللغة, لأن اللغة تقع على كل مفرد من كلام العرب, والعربية تقع على المفرد والمركب ويقول: واللغة عبارة عن العلم بالكلم المفردة والإعراب عبارة اختلاف أواخرها لإبانة معانيها..

-راجع بالتفصيل: جهود القدماء في هذا الشأن في " النحو والدلالة, مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي د/ محمد حماسة عبداللطيف, ص ٣٠-٣١ هامش(٦)...

- ويذكر د/ حسام الدين: أحسن بعض العلماء المسلمين بهذا الفصل بين اللغة والكلام الذي قال به سوسير" كما أشار د/ حسان إلي أن السيوطي في " المزهر " كلاماً وجيزاً بين اللغة والكلام..

- أما د/ ميشال زكريا فقد ميز تشومسكي بين القدرة والأداء مقابلاً لتمييز ابن خلدون بين الكلمة اللسانية وصناعة العربية..

- راجع بالتفصيل: كريم زكي حسام الدين, أصول تراثية في علم اللغة, ط٢, مكتبة الأنجلو, ١٩٨٥م, ص ٩٥, د/ تمام

حسان, مناهج البحث في اللغة, دار الثقافة, المغرب, ١٩٧٩م, ص ٥٥, د/ ميشال زكريا, الملكة اللسانية في مقدمة ابن

خلدون دراسة ألسنية, ط١, المؤسسة الجامعية, بيروت ١٩٨٣م, ص ٥٤.

ورأى أن الكلام هو تلك اللغة التي يستعملها الناس في المجتمع الواحد وهي تختلف من شخص إلى آخر ومن فئة إلى أخرى، يربط بينها جميعاً قواعد لغوية وسلوكية عامة تجعل منها لغة واحدة يتفاهم بها أبناء المجتمع الواحد.

أما اللغة هي تلك الظاهرة الاجتماعية الموحدة للمجتمع المعين والتي يمكن من خلال دراسة النماذج الصادرة عنها الإهتمام إلى القواعد والعوامل المشتركة التي تجعل منها لغة مشتركة بين جميع أفراد المجتمع.

وهي بهذا المفهوم - على حد تعبير د/ نايف خرما - النموذج المثالي الذي يوجه كلام الأفراد والذي يحاول هؤلاء أن يظلوا ضمن ضوابطه اللغوية أو السلوكية لكي يكونوا مفهومين من سواهم.

وأخر منجزات محاضرات دي سوسير هي مناداته بمفهوم القواعد العامة لجميع اللغات (Universal-Grammer).

هذا وقد تميز النصف الأول من القرن العشرين بما يسمى المنهج اللغوي الوصفي التشكيلي: descriptive structural approach

ثم كان الكتاب الثورة الذي تلى " محاضرات دي سوسير وهو كتاب " اللغة " لـ بلومفيلد والذي كان له أكبر الأثر في الترويج لهذا الإتجاه ليس فقط في أمريكا بل في العالم أجمع. وقد شهدت تلك الفترة زخماً هائلاً في الدراسات اللغوية اتصفت بعدة صفات مميزة يمكن إيجازها فيما يلي^(١):-

أولاً: كان الاهتمام مركزاً على التركيب الشكلي أو البنية الظاهرية للغة.. مما أدى إلى إختفاء كثير من المفاهيم اللغوية التقليدية واستبدالها بتعابير ومفاهيم جديدة نابعة من علاقة

(١) انظر التفاصيل: د/ نايف خرما، ص ١٠٩ وما بعدها.

المفردات بعضها ببعض داخل بنية اللغة، ومن هنا أصبحت قواعد اللغات قواعد وصفية لا معيارية.

ثانياً: تأثر علماء تلك الفترة بالمذهب السلوكي في علم النفس^(١) والذي كان يهتم بدراسة ظاهرة السلوك فقط.. وظهر تأثر علماء اللغة بهذه الظاهرة في نظرتهم إلى اللغة باعتبارها مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية وبناء على ذلك فإن من الممكن دراسة تراكيبيها من ناحية وتعليمها من ناحية أخرى.

من أشهر علماء هذا الاتجاه العالم الشهير "سكينر"^(٢)، وهو صاحب الكتاب الشهير "السلوك اللغوي" وقد كان لهذا الاتجاه والتأثير نتيجتان:-

أ- النظر إلى ظاهر اللغة ودراسة ذلك الظاهر مثلها في ذلك مثل أية عادة سلوكية أخرى.
ب- إهمال دراسة المعنى على اعتبار أنه ليس مظهراً خارجياً يمكن النظر فيه بالمنهج العلمي وبذلك فقد أهمل جانب أساسي من جوانب اللغة وجردت من أهم مظهرها و أهدافها.
ثالثاً: ركز اللغويون في تلك الفترة على الإهتمام باللغة المنطوقة وأهملوا اللغة المكتوبة اهمالاً كبيراً.

رابعاً : ونظراً للتركيز على ظاهر اللغات فقد قامت دراسات مقارنة من نوع جديد من حيث المنهج والهدف تختلف تماماً عما كان يجري في القرن التاسع عشر، فقد أصبح الهدف منها

(١)ومما يشغل بال علماء النفس اللغوي مثلاً: طرق تكون العادات اللفظية وأثرها والفروق الفردية في اكتساب اللغة وسيكولوجية القراءة وعلاقة اللغة بالشخصية وعيوب الكلام وأهم ما يشغلهم:

١-نظرية القدرة اللغوية الفطرية التي أتى بها تشومسكي ومدى صحتها، وما هية تلك القدرة التي تولد مع الطفل ، ودور النشأة في بيئة معينة، والاكساب من تلك البيئة.

٢- العلاقة بين القدرة اللغوية التي يتمتع بها الانسان والاستعمال الفعلي للغة.

٣- كيفية تركيب الفرد للرسالة الكلامية التي يصدرها ثم كيفية حله لرموزها.

-راجع بالتفصيل: د/ نايف خرما.. أضواء على الدراسة اللغوية، ص ٩١.

- د/ نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، الفصل الأول ، ص١٧-١٨.

(٢)كان أستاذ لعلم النفس في جامعة هارفرد وكان من أبرز علماء النفس السلوكيين وأشدّهم إيماناً بالنظرية السلوكية ولذا كان كتابه من أهم الكتب التي تناولت كسب اللغة في إطار نظرية التعليم عند السلوكيين.

هو مقارنة ظاهر لغتين لإيجاد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينهما من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والتوصل إلي أفضل الطرق لتعليم اللغات الأجنبية.

خامساً : غلب على طابع الدراسات اللغوية في هذه الفترة المنهج العلمي التجريبي.
سادساً : للمرة الأولى في تاريخ الدراسات اللغوية يتدخل علماء اللغة في التطبيقات التربوية كتعليم اللغات وتجهيز المواد التعليمية وفرض طرق تدريس معينة للغات والوسائل التي تستخدم في طرق التدريس^(١).

ب-دراسات النصف الثاني من القرن العشرين:

بدأ هذا النصف بثورة أحدثها العالم نعوم تشومسكي وهو واحد من ضمن ألف عالم صنعوا حضارة القرن العشرين بكتابه " التراكيب النحوية" الذي صدر في عام ١٩٥٧م.
كان من أهم ما قام به تشومسكي في حياته العلمية المبكرة هو هجومه على آراء " سكينر" التي عرضها في كتابه " السلوك اللغوي" رخص جميع الأسس التي قامت عليها آراء الكتاب ونظرياته. وأثبت أن فهم سيكنر للغة على أنها عادة ظاهرة فهم خاطئ وفي رده على كتاب " السلوك اللغوي" بدأ تشومسكي يحاول الكشف عن طبيعة اللغة ومميزاتها وخرج بنتائج مبهرة وتفصيلية عن البنية الداخلية للغة ومدى تعقيدها, ومن الصعب حصر ما ساهم به هذا العالم الفذ في الدراسات اللغوية المعاصرة.

(١)يجدر بنا هنا أن ننوه إلي أن معلم اللغة ليس في حاجة إلى أن يكون عالم لغة, وعالم اللغة ليس في حاجة كذلك إلى أن يكون معلم لغة, ولكن معلم اللغة لابد وأن يكون مؤهلاً لتلقي إرشادات عالم اللغة, وراعياً في تطبيقاتها على تدريس اللغة. ومهما كانت المعلومات التي يقدمها له عالم اللغة فهي مفيدة في وظيفته, ومن عالم اللغة التاريخي يتحصل معلم اللغة على معلومات ودراسات تتصل اتصالاً وثيقاً بتاريخ الأدب والثقافة للمنطقة التي يدرس لغتها ونظامها الكتابي, وعالم اللغة الجغرافي يمكن أن يدلّه على جوانب الأهمية في لغته, وسبب هذه الأهمية, وما أقسامها وصلاتها التي تدعو إلي دراستها. وعالم اللغة الوصفي يمكن أن يقدم له معلومات ذات قيمة عظيمة تلمس واقع اللغة مساً مباشراً, سواء في وضعها المستقر أو مع مقارنتها بلغة المتعلمين وإذا توافرت الظروف الملائمة يمكن أن يتحقق تعاون مثالي بين علم اللغة ومعلم اللغة.
-راجع بالتفصيل: أسس علم اللغة , ماريوباي, الملحق رقم ١-٢, ص ١٠٨-١٤٦.

أخذ " تشومسكى" ^(١). بتقسيم "سوسير" للغة إلى لغة وكلام وأطلق على الظاهرة الأولى تعبير القدرة "Competence" وعلى الثانية تعبير الأداء "performace".

ويقصد بالقدرة : هو أن لدى كل فرد من أفراد المجتمع القدرة على تكوين ما يريد التعبير عنه بجمل جديدة ربما لم يسمعها من قبل في المناسبات المختلفة وهى ما يعرف "بالملكة" أو المعرفة اللغوية وأهم مقومات هذه القدرة هى معرفة الفرد بالقواعد الصرفية والنحوية التى تربط المفردات بعضها ببعض.

أما الأداء: فيقصد به تلك الأصوات اللغوية التى ينطقها الفرد بالفعل والتى لا تكون صورة صحيحة للغة لأن فيها كثير من التردد والتكرار والتوقف ومخالفة القواعد اللغوية بحكم الظروف التى تحكم الكلام الفعلي.

وكما يعبر د/ تمام حسان ^(٢): "الكلام عمل, واللغة حدود هذا العمل, والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك, والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط, والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة, والكلام يحس بالسمع نطقاً وبالبصر كتابة, واللغة تفهم بالتأمل فى الكلام. فالذى نقوله أو نكتبه كلام والذى نحس به هو اللغة فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب واللغة هى الموصوفة فى كتب القواعد وفقه اللغة, والمعجم ونحوها, والكلام قد يحدث عملاً فردياً ولكن اللغة لا تكون إلا إجتماعية...."

وقد رأى تشومسكى أن على عالم اللغة أن يعمل على استنباط القواعد التى تكون أساس اللغة وأنه إذا أريد لتلك القواعد أن تكون ذات قيمة فعلية فينبغى أولاً أن تغطى اللغة بأكملها, كما ينبغى أن تتمكن هذه القواعد من توليد أو خلق جميع الجمل الصحيحة فى لغة معينة

^(١) أفرام نعوم تشومسكى يهودي من مواليد فلاديفيا عام ١٩٢٨م, التحق بجامعة بنسلفانيا حيث درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة وحصل على الدكتوراه عام ١٩٥٥م. وظل يترقى فى حياته العلمية حتى وصل إلى كرسي الأستاذية فى علم اللغة واللغات الحديثة. ويمثل نعوم تشومسكى مكانة فريدة فى علم اللغة المعاصر..

- راجع بالتفصيل: حياة تشومسكى وأهم آرائه وأهداف نظريته اللغوية فى: نظرية تشومسكى اللغوية. تأليف: جون لوينز, ترجمة وتعليق د/ حلمى خليل, ط ١٩٨٥م, دار المعرفة الجامعية..

^(٢) اللغة العربية معناها ومبناها, ص ٣٢.

بلا استثناء وألا يسمح بخلق غير تلك الجمل، أى أنها يجب أن تمنع تكوين جمل غير صحيحة لغوياً. وقد أطلق على هذه القواعد اسم القواعد التحويلية "Trans For Matonal Rules" وهكذا.. فإن أولى المدارس اللغوية فى القرن العشرين هي المدرسة الوصفية التشكيلية وقد اعتبرت هذه المدرسة الوحدة الصوتية أصغر وحدة لغوية ومنها انطلقت إلى الكلمات ثم وصلت إلى الوحدة الأكبر وهي الجملة.

أما تشومسكى فقد بدأ بالجملة كأهم وحدة لغوية وانطلق منها إلى المعاني.

وفي نفس الوقت الذى أطلق فيه تشومسكى نظرياته كانت هناك المدرسة الاجتماعية التى أخذت الجانب الاجتماعي من اللغة وأولته عناية خاصة. وهذا الجانب كان أحد أهم الجوانب التى ركز عليها سوسير وأهمها تشومسكى.

وأصحاب المدرسة الاجتماعية لا ينتقصون من قدر ما قامت به المدارس اللغوية الأخرى إلا أنهم يعتقدون بأن أصحاب هذه المدارس اهتموا بالتركيب الداخلى للغة أكثر مما ينبغي وأهملوا جانب الاستعمال الفعلي للغة في إطار المجتمع وما يمكن أن يفرضه المجتمع على مستعمل اللغة من ضوابط وقواعد، ومن أهم أعلام هذه المدرسة الاجتماعية فيرث (Firth) فى أمريكا.

وقد حاولت هذه المدرسة أن تتوصل إلى القواعد والضوابط التى تحكم الإستعمال الفعلي للغة فى المجتمع ومعرفة ما هو عام منها وينطبق على المجتمعات المختلفة وما هو خاص بمجتمع معين.. فقد رأوا أن اللغة لا تستعمل فى فراغ بل هناك أمران هامان يحكمان الإستعمال اللغوى:-

أولاً: السياق اللغوية.

السياق اللغوى "Vcrbal Context" وهذا السياق لا تأخذ المفردات معانيها بمعزل عنه

وهو الذى يحدد تلك المعاني.

ثانياً: المقام.

وعناصر المقام منها المتكلم, ذكر أم أنثي, جنسه, دينه, نبرة صوته, وكذلك السامع وعلاقته بالمتكلم وموضوع الكلام , وفى أى مكان وأى زمان؟ وكيف يقال وما الداعي لقوله... إلخ..

وهكذا بينت الدراسات الحديثة أهمية اللغة المنطوقة" أى لغة الحديث" والاختلافات بينها وبين اللغة المكتوبة, كما أظهرت بأن بعض القواعد التقليدية لم تكن موجودة فى اللغات فعلاً, بل ربما كانت من اختراع اللغويين القدامى فى محاولة من هؤلاء لإخضاع بعض التراكيب التى بدت شاذة إلى قاعدة تنطبق على عدد كبير من الحالات الأخرى. كما أظهرت النتائج كذلك أن القواعد التقليدية لم تكن شاملة لجميع جوانب اللغة, بل كانت تهتم ببعض الجوانب دون غيرها لأنها كانت معيارية هدفها منع الوقوع فى الخطأ لا وصفية تصف جميع جوانب اللغة فنتج عن ذلك إهمال بعض الجوانب العامة فى اللغة. لذا فإنه لا بد لنا عندما نقوم بدراسة اللغة أن يكون ذلك من خلال زاويتين:-

الأولى :

تتعلق بالشكل والبنية الظاهرة أى الطرق والقواعد التى تستخدم لتنظيم أصوات اللغة ومفرداتها وتراكيبها لتؤدي المعاني.

الثانية :

تتعلق بالوظائف التى تؤديها اللغة وعلاقة اللغة بالمجتمع وكيف تؤثر فيه ويؤثر فيها.

واللسانيات الحديثة تتميز بعدة خصائص أهمها :-

١- أن اللسانيات تتصف بالإستقلال على حين أن الدراسات التقليدية " النحو مثلاً" كان شديد الاتصال بالفلسفة والمنطق بل وخاضعاً لها فى كثير من الأحيان.

٢- تهتم باللغة المنطوقة قبل المكتوبة, على حين أن الدراسات التقليدية غلب عليها العكس^(١).

^(١) يرى د/ حلمى خليل, أن الدراسات اللغوية العربية القديمة قد قامت على احترام اللغة المنطوقة وفى هذا الصدد يمثل مبدأ السماع الوسيلة المعتمدة عند علماء العربية فى جمع المادة اللغوية ويحدد السيوطي بناء على هذا المبدأ الفرق بين عمل

٣- تعنى اللسانيات باللغات ولا تفضل الفصحى على عكس ما كان سائداً من قبل، فاللغات على اختلافها لا تقل أهمية عن سواها من مستويات الاستخدام اللغوي^(١).

النحوى وعمل اللغوي فيقول: (أعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه): المزهر ٥٩/١، ومعنى هذا أن الأصل عندهم هو المادة اللغوية المسموعة والمنقولة مشابهة رواية ولذلك كان من البديهي أن يبدأ هؤلاء العلماء الدراسة اللغوية بدراسة المستوى الصوتي ولكن ذلك لم يحدث كما حدث عند علماء اللغة المحدثين ذلك لأن المسموع المراد غالباً ما كان يتحول إلى لغة مكتوبة، ولذا يقال أن الكسائي قد استنفذ خمسة عشر قنينة من الحبر في كتابة ما سمعه من الأعراب ومعنى هذا أن عملية الملاحظة أو تصنيف الظواهر النحوية واللغوية وتحريرها علمياً كانت تتم في مرحلة تالية لمرحلة السماع أى بعد التدوين والكتابة، ومعنى هذا أيضاً أن علماء اللغة العربية على الرغم من وعيهم بأهمية اللغة المنطوقة عندما أخذوا في بحث المادة اللغوية بحثاً علمياً مجرداً كانوا يعودون إلى النصوص المدونة المكتوبة ومن ثم لم تكن قيمة السماع والمشاهدة من الناحية اللغوية ذات أثر واضح في الوضع العلمى للنحو العربى أو غيره من علوم اللغة العربية ومن ثم لم يكن النحاة يستطيعون من خلال التدوين المسموع أن يبدؤوا بدراسة النظام الصوتى للغة العربية كما فعل ذلك المحدثون...

ويضاف إلى الأسباب أيضاً أن الدرس الصوتى للعربية كان جزءاً أصيلاً من التجويد وأن القراءات القرآنية كانت متواترة بالتلقى الشفاهي مما صرف العرب عن الاهتمام بالدراسة الصوتية من حيث صلتها بالنحو واللغة عدا النحاة من الشعراء.. -راجع بالتفصيل: نظرية تشومسكى اللغوية، ص ٤٢، هامش (١).

^(١) هذا هو الفرق بين الدراسة العلمية للغة والدراسة المعيارية لأن قضية الفرق بين الفصحى والعامية أو بين الفصحى واللغات تقتضى أمام عالم اللغة البحث فكل جديد بالدراسة وليست العمليات أو اللغات اقل انتظاماً من الفصحى والموقف العلمى يرى في البحث صورة من صور النطق للغة العربية جديرة بالدراسة والوصف، وهنا سنجد جانب من هذه النظرة المعيارية للفروق بين الفصحى واللغات ترجع أصلاً إلى اعتقاد شائع فى الدراسات اللغوية القديمة حيث ربط العلماء بين اللغة التى نزل بها القرآن أو إن شئنا الدقة بين المستوى اللغوي الذى نزل به القرآن وبين قبيلة قريش فقالوا أن الفصحى هى لغة قريش أو لهجة قريش وهى اللغة التى نزل بها القرآن يقول ابن فارس " أجمع علماءنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأينسابهم ومجالسهم أن قريشاً أفصح العرب وأصفاهم لغة وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم" الصاحبى، ص ٣٣، ومع ذلك نجد أن النبي عندما أراد يشيد بفصاحته أشار إلى أنه نشأ فى قبيلة " سعد بن بكر" وهى من عليا هوازن ولو أن قريشاً كانت أفصح العرب كما قال القدماء لكان أولى بالنبي أن يشيد بها ناهيك عن الظواهر اللغوية التى توجد فى لهجة قريش ولا توجد فى القرآن مثل: تحقيق الهمزة فى القرآن وقريش تسهل الهمزة كما هو شائع ومشهور - فإذا أضفنا إلى ذلك أن النصوص الأدبية الجاهلية التى وصلتنا تكاد تكون خاصة لقبائل قريش بل أننا لم نسمع عن شاعر جاهلى قريشي فحل وإنما نجد معظم الشعر منسوب إلى قبائل عربية شمالية وجنوبية حجازية ونجدية بل أن علماء العربية القدماء عندما حددوا القبائل التى تؤخذ عنها اللغة لم يقتصروا على قريش وحدها فهناك قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة ومعنى هذا أن العلاقة بين

- ٤- تعني اللسانيات بدراسة جميع اللغات ووصفها وتسعى إلى بناء نظرية لسانية عامة.
- ٥- ترى اللسانيات أنه لا فرق بين اللغات ما بين لغات بدائية.. ولغات متحضرة فجميعها جديرة بالدرس.
- ٦- تدرس اللسانيات اللغة ككل متكامل ضمن تسلسل واضح يتدرج من الأصوات إلى الجوانب الصرفية والتركيبية وصولاً إلى الدلالة.

القرآن ولهجة قريش أو بين الفصحى وقريش ليست هي تلك العلاقة المسلم بها ومن هنا لا بد أن نبدأ في دراسة اللهجات العربية قديماً وحديثاً في ضوء تلك الحقائق وعلم اللغة يضع بين أيدينا المنهج والأساليب لهذه الدراسة حديثاً ومن ثم نتبين العلاقة الحقيقية بين ما يسمى اليوم بالفصحى واللهجات الاجتماعية والإقليمية.

-انظر د/ حلمي خليل , نظرية تشومسكي , ص٤٦-٤٨ , هامش (١)

الفصل الثامن

ما المقصود بالمنهج العلمي في الدراسات اللغوية

لقد كان لظهور الاتجاهات اللغوية الهامة في أواخر القرن التاسع عشر أثراً كبيراً في نهضة الدراسات اللغوية أهمها جعل البحوث اللغوية بحثاً علمية بالمعنى الصحيح وإخضاعها

لمناهج البحث العلمي^(١)، وتوجيهها إلى الأغراض التي ترمي إليها العلوم وجعل أغراضها الكشف عن القوانين التي تخضع لها الظواهر اللغوية وتخليصها من النظريات الميتافيزيقية والقضايا الفلسفية.

يقول دافيد كريستال^(٢): " هناك اختلافات متعددة وحاسمة بين المنهج الحديث والدراسة القديمة للغة وحجر الزاوية في هذا الخلاف تلخصه كلمة واحدة هي "Scientific" العلمية والجانب الهام في "Scientificity" علمية علم اللغة هو استعمال الأساليب العلمية التي يعتمد عليها الموضوع أى المنهج العلمي "Scientific method" الذى يتمثل فى ملاحظة الظواهر ثم إقامة الفرض النظري الذى يفحص بعد ذلك منهجياً عن طريق التجريب وتحقيق الفروض كما يهتم بوضع أصول نظرية علمية لمصطلح^(٣) علمى ثابت وواضح.

(١) راجع بالتفصيل: علم اللغة د/ على عبد الواحد وافي، ومقدمة في علم اللغة، د/ البدروى زهران، دار المعارف.

(٢) انظر التعريف بعلم اللغة، دافيد كريستال، ترجمة د/ حلمى خليل، ط١٩٧٩م، ص ٨٠-٨٣.

(٣) تبقى مشكلة من أهم المشكلات التي تواجه اللسانيات فقد كثرت المصطلحات وكثر الاختلاف حولها حتى عصفت بالمفاهيم الأساسية للسانيات التي غدت عند الكثير من دارسيها علما- لا يعرف من أين ينفذ إليه وما ذلك إلا لافتقاد المصطلحات الدقيقة والصحيحة والمتفق عليها، من جمهرة أهل الاختصاص.. والمصطلحات- كما هو معروف - مفاتيح للعلوم .. فيها تتركز مفاهيم العلوم وضبط فروعها ومناهجها.

وأوضح مثال على الفوضى التي تعصف بالمصطلح اللساني هو عنوان هذا العلم أى اللسانيات (Linguistique)، فقد بلغت المصطلحات المعربة أو المترجمة لهذا المصطلح ثلاثة وعشرين مصطلحاً منها : علم اللغة، علم اللسان، اللغويات، علم اللغويات الحديث، الدراسات اللغوية الحديثة، علم اللغة العام، علم اللغة العام الحديث، والألسنية ، والألسنيات واللسانيات وغيرها.. مع أن ندوة" الألسنية واللغة العربية" التي عقدت في تونس ١٩٧٨م اتخذت توصية باستعمال مصطلح" اللسانيات" وحده فإن بعض الدارسين ما زال يجادل في صحة استعماله ويفضل عليه مصطلح الألسنية.

-انظر: مبادئ اللسانيات.د/ أحمد محمد قدور، ص ٢٩-٣٠، دار الفكر، ١٩٩٩م.

ويبقى التساؤل:-

ما المقصود بأن منهج البحث فى الدراسات اللغوية فى القرن العشرين كان منهجاً علمياً^(١).

أولاً : مقومات المنهج العلمى.

يلخص " دافيد كريستال " مقومات المنهج العلمى بثلاثة مقومات.

١-الوضوح التام Explicitness.

٢- الانتظام مع الثبات Systematic ness.

٣- الموضوعية Objectivity.

والوضوح يعتمد على عدة أمور مثل: وضوح الفرضيات ووضوح الخطوات والمصطلحات والتعابير الفنية واستعمال كل منهما بمعنى واحد طيلة البحث فمن الضرورى أن يوضح الباحث اللغوى توضيحاً لا لبس فيه ما يعنيه بالمصطلحات التى يستخدمها.. مثلاً ماذا نقصد بـ "الكلمة" و"الجملة" و" الاسم" و" الفعل" و"حرف العلة" و" الظرف"... إلخ فهناك فى العربية أكثر من تعريف مختلف لمصطلح " الجملة" وكذلك " الكلمة".

وتحديد هذه المعانى قائم على أن الباحث عليه أن يتمسك بأمرين:-

١-الثبات على المصطلح المعين بمعناه المعين خلال البحث اللغوى بأكمله.

- وراجع بالتفصيل: قاموس اللسانيات,د/ عبدالسلام المسدى, ص٧٢, الدار العربية للكتاب, ١٩٨٤م.

^(١)راجع بالتفصيل: د/نايف خرما, أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة , ودافيد كريستال, التعريف بعلم اللغة, ترجمة د/ حلمى خليل.

٢- المعايير التي على رأسها يجرى تحديد معنى المصطلح, وأن تعتمد تعريفاتنا للمصطلحات على مفاهيم محددة سلفاً وأن تكون تلك التعريفات معتمدة على نوعين من المعايير هما:-

أولاً : المعيار اللغوي: ويعتمد على اللغة ذاتها.

ثانياً : معيار المعنى: ويعتمد على العالم الخارجي لأن المعنى هو العلاقة بين اللغة والعالم الخارجي.

ومن الأمثلة على استخدام معايير مختلفة لتعريف المصطلح الواحد المدارس اللغوية العربية" تعريف أجزاء الكلام" فهم متفقون على أنها ثلاثة: " اسم", " فعل", "حرف" إلا أنهم اختلفوا في المعايير التي تحدد كل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة فمنهم من استعمل المعايير اللغوية الشكلية كابن مالك. ومنهم من اتخذ المعنى معياراً للتعريف , ثم جاء د/ تمام حسان" ليستخدم المعيارين معاً ويصنع من أجزاء الكلام سبعة أجزاء وليس ثلاثة وتبعه في ذلك" د/ فاضل الساقى"^(١).

^(١)نظر د/ تمام حسان في آراء القدامى وفي ضوء منهجه الاستقرائي المعتمد على بيان السمات الشكلية والوظيفية معا.. انتهى إلى أن أجزاء الكلام العربي سبعة أقسام: الاسم, الصفة, الفعل, الضمير, الخالفة, الظرف, الأداة.. ثم تبعه د/ فاضل الساقى بوضع كتابه" أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة, وقراره لتلك الأقسام السبع للكلام وقد أفرد الفصل الأول منه لمناقشة آراء أشهر النحاة القدماء في تقسيم الكلام وقدم دراسة نقدية لتلك الآراء عن الاضطراب الذي وقعوا فيه.. وكذلك خصص الفصل الثاني لمناقشة آراء المحدثين في مسألة تقسيم الكلام العربي.. هذا وقد أوضحت رسالة د/ فاضل أهمية استخدام الشكل والوظيفة في دراسة اللغة فهما عنصران مهمان من عناصر الدراسات اللغوية الحديثة تقوم عليهما بنجاح كثير من الظواهر اللغوية والنحوية..

-كما أكدت الدراسة على أن مسألة تعدد المعنى الوظيفي لمباني أقسام الكلام مجال علم النحو لا علم البلاغة النحوية وفي هذا تأكيد على فكرة جعل علم المعاني ضمن الدراسات اللغوية

أما الانتظام والثبات فهو يؤكد على انتظام العمل بشكل منظم والثبات على الأسس التي يعتمد عليها وتطبيقها بشكل منظم لتمثل النتائج بعد ذلك رؤية شاملة متكاملة للعمل اللغوي.

وفى البحث اللغوي لا بد للباحث أن يختار نقطة البداية ثم ينطلق منها إلى الظواهر اللغوية الأخرى، والدراسات اللغوية الحديثة أكدت على هذا الأساس فهناك من المدارس من بدأ من الأصوات اللغوية منطلقاً للدراسة ثم إلى الصرف والنحو.. إلخ.. وهناك من بدأ بالجملة على أساس أنها الوحدة النحوية وانطلق منها إلى المعاني.. وهناك الثالثة التي انطلقت من المعنى إلى التراكيب منتهية بالأصوات..

ونحن هنا لا نفاضل بين الأساليب المختلفة في البحث اللغوي.. لكننا نؤكد على أهمية أن نختار أسلوباً معيناً ورسم الخطوات بكل وضوح وتحديدها والالتزام بها أثناء الدراسة التزاماً تاماً.

أما الركيزة الثالثة التي يعتمد عليها منهج البحث العلمي وهي الموضوعية فهي أكثرهم مثاراً للجدل فى ضوء بعض النظريات اللغوية الحديثة.

ويمثل د/ نايف خرما^(١) إلى إحدى المدارس اللغوية الرائدة وهي المدرسة الوصفية التشكيلية والتي تأثرت بالمنهج العلمي فى البحث إلى درجة كبيرة واستخدمت هذا المنهج استخداماً حرفياً بمقوماته المختلفة بما فى ذلك الموضوعية فى وصف اللغات ولكنها

- راجع بالتفصيل: د/ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، ص ٨٦-١٣٢.

- د/ فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، الفصل الأول والفصل الثانى.

(١) أضواء على الدراسات اللغوية، ص ١٣٣.

اصطدمت بعقبة رئيسية هي صعوبة تطبيق هذا المنهج على دراسة المعانى التى تكون جزءاً
لا يتجزأ من اللغة, بل ربما كانت أهم جزء منها على الاطلاق, لذلك فقد وقفوا دراساتهم على
الشكل الخارجى للغة من أصوات ومفردات وجمل وأهملوا عالم المعانى بأسره.
ومن هنا جاءت وجهة نظر اللغويين المحدثين جميعاً وهو أن اللغة ظاهرة ذات طبيعة
فذة تختلف عن طبيعة أية ظاهرة أخرى من ظواهر هذا العالم ولذلك فإن المنهج العلمى
الذى يجب أن يطبق على دراساتها يجب أن يعدل بالشكل الذى يتلاءم مع هذه الطبيعة
الخاصة للغة.

الفصل التاسع

اللحن في اللغة

اللحن في اللغة

وبعض الأخطاء اللغوية الشائعة

لم تزل العرب تنطق على سجيبتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان, فدخل الناس فيه أفواجاً وأقبلوا عليه أرسالاً, واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة, ففشا الفساد في اللغة العربية, واستبان منه في الإعراب الذي هو حليها, والموضح لمعانيها.

ثم كان العمل اللغوي الحاسم ينقذ اللغة العربية من الدمار الذي بات يتهدها, والأخطار المحدقة بها جراء هذا التيار الشديد, فكان أن قام رجال خلدتهم تاريخ العربية بسياحة شاقة جمعوا فيها أفصح الكلام وأنقاه ثم جعلوا ينظرون فيه بتأمل واستغراق شغل عليهم أيامهم, ووقفوا على ثمارها حياتهم, فأثمر ذلك ثمرة هي (النحو العربي) علماً متماسكاً ينتزع الإعجاب والإطراء.

وتحضرنا شهادة المستشرق الهولندي دي بور ١٩٤٢م في كتابه (تاريخ الفلسفة في الإسلام) وأياً ما كان فلعلم النحو العربي خصائص ليس هذا مجال الإفاضة فيه, وهو أثر رائع من آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظة ومن نشاط في جميع ما تفرق هو أثر يرغم الناظر فيه على التقدير له ويحق للعرب أن يفخروا به".

ويتخذ الخطأ اللغوي أشكالاً مختلفة, ومظاهر شاملة, فيصيب الأصوات اللغوية أو الصور البنيوية, أو التراكيب النحوية, أو الطرائق البيانية, وقد عرفه في مختلف اللغات الإنسانية ومنها اللغة العربية وكان ما تناقلته المصادر المعتمدة من أخبار بداية الانحراف عن مقاييس العربية ومنتها الأصيل.

وقد أخذت كلمة اللحن في العربية معان مختلفة عديدة: منها إنها اللغة, ومنها أنها الخطأ في اللغة وقد أوردت المصادر عن أبي بكر قوله: (لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن).

واللحن له ستة معان^(١) والذي يهمنا هو اللحن بمعنى الخطأ في اللغة وهو في كتب اللغويين القدماء

ثلاثة أنواع :

أولاً : خطأ يتعلق علامات الإعراب مثل ما يروى أن عمر بن الخطاب مر بقوم يرمون فاستقبح رميهم،

فقال ما أسوأ رميكم، فقالوا: نحن قوم متعلمين، فقال عمر: لحنكم أشد علي من فساد رميكم.

وهذا النوع قد اضطلع بعبء تقويمه النحويون فوضعوا ضوابط الكلام وكانت ثمرة جهودهم (علم النحو).

ثانياً : خطأ يتعلق ببنية الكلمة وصياغتها كقولهم (ظفر اليد) والمسموع عن العرب ظُفر بالضم وقد بذل

اللغويون جهداً كبيراً في محاربة هذا اللون وذلك لخطورة أثره في تشويه اللغة وطمس معالمها.

ثالثاً : خطأ يتعلق بالمعاني والدلالات، فنستعمل الكلمة على غير المعنى الذي وضع كما في قولهم: (كنا

في ماتم) يقصدون في مصيبة وليس كذلك وإنما المأتم: النساء يجتمعن في الخير والشر.

وقد استحوذ النوعان الثاني والثالث على اهتمام اللغويين فنبهوا عليه، وأفردوا لهما الكتب والمؤلفات،

من ذلك الكتب التي أطلق عليها كتب (لحن العامة).

☒ وقد اعتمد اللغويون على خمسة مصادر في إثبات مسائل اللغة والنحو وهي:

١- القرآن الكريم: فقد أجمعوا على أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلاف

في ذلك.

٢- الحديث النبوي الشريف.

٣- الأمثال والأقوال المأثورة.

(١) ورد لفظ اللحن في كتب اللغة بمعان هي: المعنى والتبيين والفتنة، والخطأ في اللغة، واللغة والتجويد والتعمية والتورية والكتابة.

راجع: اللسان (لحن)، الكشف ج ٣، ص ٤٥٩، العقد الفريد، ج ٣، ص ٤٧٩، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٢١٦، الخصائص، ج ٣، ص ٢٤٥، المزهر، ج ٢، ص ٢٧٧، أساس البلاغة، ص ٤٠٦.

٤- الشعر والرجز.

٥- الإعتداد بأقوال السابقين من العلماء.

ويحمل استثناء الخطأ اللغوي في الألسن والأقلام الدلالة على جهل بأوضاع اللغة وأصولها..

ويحضرنا قول د/ عثمان أمين:

(من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه, استخف بتراث أمته, واستهان بخصائص قوميته, ومن لم يبذل

الجدد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهرية, اتسمت حياته بتلبد الشعور وانحلال

الشخصية, والقعود عن العكس, وأصبح ديدنه التهاون والسطحية في سائر الأمور)

وما لم يتنبه بنو العروبة للثروة الغالية بين أيديهم والتي تنتشال من بين أيديهم يوماً بعد يوم, ولا

سيما مع انحدار مستوى التعليم, فلأمر سوف يكون جد خطير.

*بعض الأخطاء اللغوية الشائعة:

☒ رددت على فلان قوله.

ويقولون: رددت على فلان. والصواب: رددت على فلان قوله, لأنك لا ترد على القول, فالقول لا عقل له

حتى ترد عليه بل ترد على القائل ما قاله.

جاء عن الإمام على بن أبي طالب قوله: (ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به, فكفى بذلك جهلاً).

☒ تردد إلى المكتبة:

ويقولون: تردد على المكتبة. والصواب قولك: تردد إليها أي جاءها المرة بعد الأخرى.

وفى الصباح: (ترددت إلى فلان): رجعت إليه مرة بعد أخرى.

☒ زاد عليه:

يقولون: زاد عنه في الكرم, والصواب: زاد عليه في الكرم.

❑ أصغى إليه:

يقولون: أصغى له, والصواب: أصغى إليه أى مال بسمعه نحوه.

قال الله تعالى: (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة).

❑ المأتم:

ويطلقونها على النساء يجتمعن في الأحزان, والصواب أن تطلق على النساء يجتمعن في الخير

والشر.

❑ أثر فيه أدبه:

ويقولون: أثر فلان عليه تأثيراً كبيراً. والصواب: أثر فلان فيه أو به تأثيراً كبيراً, أى جعل فيه أثراً

وعلامة.

قال عنتره:

أشكو من الهجر في سر وفي علن

شكوى تؤثر في صلد من الحجر

❑ أذن له في السفر:

ويقولون: أذن له بالسفر, والصواب: أذن له في السفر, أى: أباحه له, لأن معنى (أذن بالشئ) هو:

علم به.

وفعله: أذن يأذن إذناً وأذانه: علم وقد قال تعالى: (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أى: كونوا على علم.

وأذن له في الأمر يأذن إذناً وأذينا: أباحه له. وأذن له وإليه: استمع معجباً.

*وقف تجاهى أو قبالى أو إزائى لا أمامى:

يقولون: حدثته عندما وقف أمامي, والصواب: حدثته عندما أتى تجاهي أو قبالي أو إزائي, لأن المرء يحدث غيره وهو تجاهه, و(وقف أمامي) تعنى: وقف مديرا لي ظهره, كما يدير الإمام ظهره للمصلين, ولا يحدث إنسان آخر - عادة - إلا إذا كان أحدهما يرى وجه الآخر.

☒ ذقنه عريضة:

ويقولون: ذقنه عريضة, والصواب: ذقنه عريض, لأنه منكر لا غير.

☒ بت الأمر:

ويقولون: بت فلان في الأمر, والصواب: بت فلان الأمر. أى: نواه وجزم به. وجاء في الأساس: بت عليه القضاء وبت الشئ بيته وبيته: قطعه قطعاً مستأصلاً. ويقولون: بت طلاق إمرأته: جعله باتاً لا رجعة فيه.

☒ برز في العلم:

ويقولون: برز فلان في العلم بروزاً عظيماً. والصواب: برز فلان في العلم تبريزاً عظيماً, لأن معنى برز في العلم هو: فاق أصحابه فيه, أما معنى برز فهو: ظهر بعد خفاء.

☒ بادر إليه:

يقولون: بادر لجاره لمساعدته, والصواب: بادر إلى جاره لمساعدته, لأن الفعل (بادر, يتبادر, إبدار (إلى) لا ب (اللام).

ومعنى بادر إليه: أسرع إليه.

☒ أبدل الجهل بالعلم:

ويقولون: لا تبدل العلم بالجهل, لا تستبدل الذهب بالفضة, والصواب: لا تبدل الجهل بالعلم, ولا تستبدل

الفضة بالذهب. جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

(أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير).

☒ بعيد منا , بعيد عنا.

ويقولون: هو بعيد عنا, والأعلى - أى الأصوب: هو بعيد منا.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (وماهي من الظالمين ببعيد),

(وما قوم لوط منكم ببعيد).

☒ إنضم بعضهم إلي بعض:

ويقولون: انضموا إلي بعضهم البعض, وشكوا ببعضهم البعض, والصواب: انضم بعضهم إلي بعض,

وشك بعضهم في بعض.

☒ لا ينبغي له.

ويقولون : لا ينبغي عليه أن يفعل كذا, والصواب: لا ينبغي له أن يفعل كذا.

وقد قال الله تعالى: (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر).

وقد جاء الفعل "ينبغي" في القرآن الكريم ست مرات, متلو بحرف الجر " اللام" وجميع هذه الأفعال سبقت

بأدوات نفي.

☒ على بكرة أبيهم:

ويقولون: جاءوا عن بكرة أبيهم. والصواب: جاءوا على بكرة أبيهم. أى: جاءوا جميعاً, ولم يتخلف منهم

أحد.

☒ بعثه وبعث به:

ويخطئون من يقول: بعثت إليك بولدى، ويقولون إن الصواب هو: بعثت إليك ولدى. لأنه يقال: بعثت إليك فلاناً إذا ذهب وحده، وبعثت إليك بولدي، إذ أرسلته مع شخص آخر.

أما إذا كان الشخص المرسل شيئاً، فإن الفعل يعدى إليه بالباء، نحو: بعثت إليك بهدية أو برسالة، لأن الأشياء لا تذهب وحدها، بل تذهب مع شخص آخر.

جاء في لسان العرب: (بعثه يبعثه بعثاً: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره). والمبعوث به هنا قد يكون شخصاً غير عاقل.

ابن:

ويكتبون كلمة (ابن)، إذا جاءت صفة بين علمين أو ألفين أو كلمتين، دون همزة وصل، نحو: جاء نزار بن محمد، وسافر فؤاد بن خالد، ومات سالم بن أبي عامر.

وقد حذف العرب همزة وصل (ابن) بين الأعلام، لحبها الاختصار في الكتابة، ولا اهتمامها الشديد بالأسباب، واضطرارها إلى إيراد كلمة (ابن) عدة مرات، عندما يذكرون نسب واحد منهم.

وإذا لم تكن كلمة (ابن) صفة، فإننا نثبت همزة الوصل فيها، وننون الاسم الذي قبلها، نحو: إن محمداً ابن عبد الله.

فكلمة (ابن) هنا خبر (إن) وليست صفة لمحمد، وإذا تقدمت كلمة (ابن) أداة استفهام، نحو هل ياسر ابن تميم؟ أو إذا ثنى أو جمع، نحو، وتميم وياسر ابنا محمد، وفيصل وهلال وخالد أبناء رشاد.

وتثبت همزة الوصل في "ابن" أيضاً، إذا أضيفت إلى الجد أو إلى الأم، نحو: محمد ابن عبدالمطلب، وعيسى ابن مريم ابنة عمران هنا وقعت "ابنة" بين علمين، وأثبتنا همزة الوصل أيضاً.

✘ أجاب سؤاله، عنه، إليه:

ويقولون: أجاب سؤاله. والصواب: أجاب سؤاله أو عن سؤاله أو إلى سؤاله.

قال تعالى: (أجيب داعي الله).

وقال كعب بن سعد الغنوي، يرثي أخاه أبا المغوار:

وداعٍ دعا: يامن يجيب إلى النداء

فلم يستجبه عند ذلك مجيباً

فقلت: ادع أخرى. وارفح الصوت رفعةً

لعل أبا المغوار منك قريب

تداولوا الأمر.

ويقولون: تداول القوم في الأمر، الصواب: تداولوا الأمر. أى: اخذه هذا مرة، وذلك أخرى.

ويقال: داول الله الأيام بين الناس، أى أدارها وصرفها. وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: (وتلك الأيام

نداولها بين الناس).

☒ رده إلى منزله:

ويقولون: رده منزله. والصواب رده إلى منزله، قال تعالى: (وردوه إلى الله والرسول). وقوله تعالى:

(ومنكم من يرد إلى أرذل العمر).

تسرب في المكان.

يقولون: تسرب إلى المكان، والصواب: تسرب في المكان، أى دخله خفية.

وفي اللسان: تسربوا فيه: تتابعوا.

اشتاقه أو اشتاق إليه.

صاح به:

ويقولون: صاح على فلان، أى: ناداه. والصواب: صاح به وصيح به وصياحه. أما صاح عليه فمعناه:

زجره ونهره. صاح له بفلان: دعا له: وفعله: صاح يصيح صيحاً، وصياحا وصيحة، وصيحانا.

أعار فلانا القلم.

ويقولون: أعرت القلم إلى فلان أو لفلان. والصواب: أعرت فلانا القلم, أو: أعرت القلم منه, أو عاورته القلم.

وأنشد بن المظفر:

إذا رد العار ما استعار.

ويقول: أعرتة الشيء أعيره إعارة وعارة.

أفاض في القول.

ويقولون: أفاض فلاناً القول. والصواب: أفاض في القول. أى: اندفع وخاض وأكثر, وهو من المجاز. قال تعالى: (إذ تفيضون فيه) أى تخوضون فيه.

لغوي.

ويسمون العالم باللغة لَغوي. والصواب: لغوي, لأن لَغوي تعنى كثير اللغو, أى: ثرثاراً(نسبة إلى اللغو).

المهيب.

ويقولون : القاضي المهاب, والصواب: القاضي المهيب. أصلها: مهيوب. حولها الإعلال بالتسكين إلى مهيباً. ومهوب ومهيب وهيوب: يخافه الناس.

يجب أن لا نكذب:

ويقولون: لا يجب أن نكذب. وهذا يعنى أننا يجوز أن نكذب , ولهذا علينا أن نقول: يجب أن لا

نكذب. " وهى جملة فيها قوة" أو : لا يجوز أن نكذب. " وهى أقل قوة من الأولى"

الوجود لا التواجد.

يقولون: " على الطلاب التواجد فى أماكنهم فى التاسعة صباحاً" . وهذا خطأ لأن الفعل "تواج" معناه:

أظهر وجده أى حبه الشديد. والصواب: على الطلاب أن يوجدوا فى أماكنهم فى التاسعة صباحاً.

يسافر وحده:

ويقولون: يسافر فلان لوحده. والصواب: يسافر وحده. و" وحده" هنا مصدر لا يثنى ولا يجمع. وينصبه البصريون على الحال لا على المصدر, على تقدير: "منفرداً" قال تعالى: " وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده"

للمزيد راجع هذه المراجع:-

-معجم الأخطاء الشائعة: د/ محمد العناني.

المعيار في التخطئة والتصويب.د/ عبدالفتاح سليم .

ما تلحن فيه العامة: أبى الحسن الكنانى, تحقيق وتقديم وتعليق, د/ رمضان عبد التواب.

حركة التصحيح اللغوى: د/ محمد ضارى حمادى.

اختبار لقياس مهارة الصحة اللغوية

يهدف الاختبار إلى :

- معرفة الأخطاء الإملائية واللغوية الشائعة .
- معرفة معنى الكلمات واستعمالاتها الصحيحة في صياغة الجمل في اللغة العربية .
- معرفة كيفية إعداد المراسلات الرسمية بلغة عربية سليمة.

الاسم :

أولاً: اختر مما بين القوسين:

١. على صاحب العمل الذي يستخدم مائة عاملة فأكثر في مكان واحد أن ... دارا للحضانة.

(ينشأ-ينشء-ينشئ)

٢. ويجوز لكل ذي مصلحة الطعن علي القرار الإلغاء أمام محكمة القضاء الإداري.

(بدعوى-بدعوة-بدعوا)

٣. حينها تقترح اللجنة خصم (٥٠%) من الأجر المكمل لمدة عام.

(خمسين من المئة - خمسين بالمئة - خمسين في المئة)

٤. ويقتصر تقويم الأداء على القائمين بالعمل فعلا في الوحدة مدة (١٦) شهرا على الأقل.

(ست عشرة- ستة عشر - ستة عشرة)

٥. وللوزارة تعديل ... توزيع النقاط المبينة في هذا الفصل من وقت لآخر.

(آلية - آلية - آلة)

٦. ويحدد مبلغ القرض السكني على تكلفة المسكن. (بناء - بناء - بناء)

٧. يتولى مجلس الإدارة وضع قواعد وشروط اختيار أعضاء اللجنة ومدة العضوية وطريقة التجديد

ونظام عمل اللجنة و (المكافآت - المكافآت -

المكافآت)

٨. مع عدم الإخلال بأحكام المادة (٧٦) من هذا القانون.

(السادسة والسبعين - الستة والسبعين - السادسة والسبعون)

٩. يحظر تهديد الوحدة الوطنية أو مخالفة النظام العام أو أو الدعوة إلى التمييز بين المواطنين

بسبب الجنس أو الأصل أو اللون أو اللغة أو الدين أو العقيدة.

(الأداب - الآداب - الاداب)

١٠. يمنح الموظف هذا الحافز إذا حصل على دبلومة مدتها (٢) سنة دراسية على

الأقل.

(سنتان - سنتين - اثنان)

ثانيا: ضع علامة (✓) أمام الجملة الصحيحة وعلامة (X) أمام الجملة الخاطئة فيما يلي:

١. التأكيد على آليات وممارسات تعزيز الخبرات البرلمانية الخاصة بقضايا الوطن. ()

٢. الحرص على إبداء الرأى فى مشروعات القوانين واللوائح المتعلقة بالخدمة المدنية. ()
٣. يصدر الوزير اللائحة التنفيذية لهذا النظام خلال تسعين يوم من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية.
()
٤. تسرى أحكام الخدمة المدنية على الهيئات العامة والوظائف فى الوزارات؛ وذلك ما لم تنص قوانين أو قرارات إنشاءها على ما يخالف ذلك. ()
٥. قانون مباشرة الحقوق السياسية هو القانون الذى على أساسه يتم تظبط وتنظيم عملية التصويت والترشح فى مصر. ()
٦. هناك مبادئ حاكمة للجهاز الإدارى لها أهمية عظيمة. ()
٧. تمر الدولة المصرية فى الوقت الراهن بمرحلة هامة من مراحل التطوير والتحديث والإصلاح. ()
٨. مساهمة البرلمانات العربية فى تعزيز دور المواطن فى المجتمعات العربية ()
٩. يعتبر ملف الإصلاح الإدارى أحد المهام الأساسية لوزارة التخطيط والمتابعة والإصلاح الإدارى.
()
١٠. يجب أن تحتوى المؤسسة الصحية على الأثاث والمعدات والأجهزة الطبية والغير طبية اللازمة. ()

اختبار لقياس مهارة الصحة اللغوية

يهدف الاختبار إلى :

- معرفة الأخطاء الإملائية واللغوية الشائعة .
- معرفة معنى الكلمات واستعمالاتها الصحيحة في صياغة الجمل في اللغة العربية .
- معرفة كيفية إعداد المراسلات الرسمية بلغة عربية سليمة.

الاسم :

أولاً: اختر مما بين القوسين:

١١. الهبات والإعانات والتبرعات التي يتلقاها الصندوق وما إليه من أموال. (يؤول -

يؤل - يؤول)

١٢. يكون حافز التميز العلمي (٢٥ج) لمن يحصل على مؤهل متوسط أو فوق

المتوسط.

(خمسة وعشرون جنيهاً - خمسة وعشرين جنيهاً - خمس وعشرين جنيهاً)

١٣. يجوز أن يتضمن غرض الشركة أو مجالاً أو أكثر من المجالات المحددة.

(المنشأة - المنشأة - المنشأة)

١٤. يُشكل مجلس الخدمة المدنية برئاسة رئيس الجهاز وعضوية من: (كلّ - كل - كل)

١٥. تولي القيادة السياسية اهتماماً كبيراً بملف الإصلاح الإداري؛ من أجل الوصول إلي جهاز

إداري (كفاء - كفاء - كفاء)

١٦. أقرت وزارة الإسكان اللائحة التنفيذية لتنظيم الدعم السكني والتي شملت (٥٣)

مادة.

(ثلاثا وخمسون - ثلاثا وخمسين - ثلاث وخمسين)

١٧. تعين اللجنة من بين رئيسًا. (أعضائها - أعضاءها -

أعضاؤها)

١٨. يحدد مبلغ القرض السكني بناءً على تكلفة المسكن الذي يرغب المتقدم في شرائه أو

بنائه بمبلغ القرض، على ألا يتجاوز (٥٠٠٠٠٠٠) جنيه مصرى.

(خمسئة ألفا - خمسئة ألف - خمسئة ألف)

١٩. يستحق الموظف إجازة اعتيادية سنوية بأجر كامل، لا يدخل في حسابها أيام عطلات

الأعياد والمناسبات الرسمية فيما عدا العطلات الرسمية، فتكون..... (٢١) يوما لمن أمضى

سنة كاملة فى الخدمة.

(واحد وعشرين - واحد وعشرين - واحد وعشرون)

٢٠. اشترت الهيئة أدوات مكتبية ب (٢٤٦) جنيهاً.

(مائتان وستة وأربعين - مائتين وستة وأربعين - مائتين وستة وأربعون)

ثانيا: ضع علامة (✓) أمام الجملة الصحيحة وعلامة (X) أمام الجملة الخاطئة فيما يلي:

١١. جلسات المجلس الشعبي المحلي عليه ما لم يطلب رئيس المجلس أو رئيس الوحدة المحلية أو

ثلث الأعضاء جعلها سرية. ()

١٢. تعد هذه المهمة حربا من أجل تحقيق التنمية وثورة إصلاح من أجل مصر الجديدة التي يحلم بها

ويستحقها المصريين. ()

١٣. تضع كل وحدة هيكل تنظيمي لها، يعتمد من السلطة المختصة بعد أخذ رأى الجهاز. ()

١٤. تمر الدولة المصرية في الوقت الراهن بمرحلة جيدة على النحو الذي يؤهلها لتتبوء المكانة اللائقة

التي تستحقها بين الدول المتقدمة. ()

١٥. اعتماد اللامركزية في إدارة الشؤون العامة للدولة. ()

١٦. تحدد اللائحة التنفيذية كيفية إختيار أعضاء اللجنة ونظام العمل بها. ()

١٧. دون اخلال بأى عقوبة اشد ينص عليها القانون. ()

١٨. ويجب البت في النظم المقدم خلال ستين يوما من تاريخ تقديمه. ()

١٩. ويعزز الملف الإدارى قدرة المؤسسات الحكومية على المساهمة بشكل فعال في إدارة موارد

الدولة.

()

٢٠. ويُخصص الدعم السكني للمتقدمين المُدرجين في قوائم الأولوية وفق أحكام التنظيم وهذه اللائحة.

()

اختبار لقياس مهارة الصحة اللغوية

يهدف الاختبار إلى :

- معرفة الأخطاء الإملائية واللغوية الشائعة .
- معرفة معنى الكلمات واستعمالاتها الصحيحة في صياغة الجمل في اللغة العربية .
- معرفة كيفية إعداد المراسلات الرسمية بلغة عربية سليمة.

أولاً: اختر مما بين القوسين:

١. على الجمعيات والمؤسسات الأهلية والاتحادات وفقاً لأحكام القانون رقم ٨٤ لسنة

٢٠٠٢ التي تتعارض نظمها الأساسية مع أحكام القانون المرافق أن تعدل نظمها وتوفق

أوضاعها وفقاً لأحكام هذا القانون.

(المنشأة- المنشئة- المنشأة)

٢. تحديد المدد الزمنية ... التي ينبغي أن يتم فيها مراجعة السياسات. (الملائمة - الملائمة -

الملائمة)

٣. كانت نسبة نجاح المشروع تسعون من (مئة - مئة - مائة)

٤. قرأت (١٣) لائحة مختلفة. (ثلاث عشرة- ثلاثة عشر- ثلاث

عشر)

٥. ألا يزيد عمر المتقدم عن..... (٣٥) عاماً. (خمسة وثلاثين- خمس وثلاثين- خمسة

وثلاثون)

٦. يكون هذا التسليم..... لدمته . (مبـراء- مبـرئاً- مبـرئ)

٧. قام الموظف المختص بعمل خاص بالشركة. (استبانة - إستبانة - أستبانة)
٨. لكل محافظة محافظ يصدر بتعيينه و..... من منصبه قرار من رئيس الجمهورية.
(إعفاءه - اعفائه - إعفاؤه)
٩. كل من لديه (٨) أبناء.
(ثمانى - ثمانية - ثمان)
١٠. اشترت الهيئة أدوات مكتبية ب (٤٦٦) جنيهاً.
(أربعمئة وستة وستين - أربعمئة وستة وستون - ربعمئة وستة وستين)

(وستين)

ثانيا: ضع علامة (✓) أمام الجملة الصحيحة وعلامة (X) أمام الجملة الخاطئة فيما يلى:

٢١. مع عدم الإخلال بأية مزايا منصوص عليها في قانون آخر. ()
٢٢. وتحدد الوزارة المتطلبات الواجب استيفائها للحصول على القرض السكني. ()
٢٣. الحفاظ على كافة حقوق العاملين الحاليين. ()
٢٤. يختص مجلس الدولة دون غيره بإبداء الرأى مسببا فى المساءل المتعلقة بتطبيق أحكام هذا القانون ولائحته التنفيذية. ()
٢٥. تضع كل وحدة جدولاً للوظائف مرفقا به الشروط اللازم توافرها فيمن يشغلها. ()
٢٦. وللوزارة التنسيق مع الصندوق لآداء أي مهام تتعلق بتنفيذ أحكام التنظيم. ()

٢٧. أقرت الوزارة اللائحة التنفيذية؛ لأخذ آراء المواطنين والمختصين في هذا الشأن . ()
٢٨. وتحدد اللائحة التنفيذية كيفية النشر أو الإتاحة على نحو يكفل علم ذووا الشأن بها. ()
٢٩. ويختص رئيس الجهاز باعتماد جدول وظائف كل وحدة وحجم الموارد البشرية اللازمة لها في ضوء احتياجاتها الفعلية. ()
٣٠. هؤلاء موظفون أكفاء. ()

اختبار لقياس مهارة الصحة اللغوية

يهدف الاختبار إلى :

- معرفة الأخطاء الإملائية واللغوية الشائعة .
- معرفة معنى الكلمات واستعمالاتها الصحيحة في صياغة الجمل في اللغة العربية .
- معرفة كيفية إعداد المكاتبات بلغة عربية سليمة.

الاسم :

الفرقة :

أولاً: اختر الكلمة الصحيحة من الاختيارات التالية:

٢١. تأجل الاجتماع إلى الأربعاء المقبل لظرف
- أ. طارئ ب. طارئ ج. طارئ
٢٢. لقد كان العمل في الإدارة مشرفاً.
- أ. شيئاً ب. شيئاً ج. شيئاً
٢٣. من خلال مذكرة التحقيق تبينت الموظف من الاتهامات الموجهة
- أ. براءة ب. براءة ج. براءة
٢٤. الموظفون المهارة يستحقون العمل بالشركة.
- أ. ذوو ب. ذوي ج. ذووا
٢٥. الرجاء التكرم بالموافقة على صرف سلفة قدرها جنييه.
- أ. ألفين ب. ألفاً ج. ألفي
٢٦. كتب الموظف ... مذكرات، ولم يُرَدَّ عليها حتى الآن.

- أ.ثمان
ب.ثمانية
ج.ثمانى
٢٧. بلغ عدد العاملين بالمصلحة مائتى....
- أ.عاملا
ب.عامل
ج.عاملٍ
٢٨. قامت المطبعة بطباعة ... نسخة من المنشور الإداري .
- أ.إحدى وتسعون
ب.إحدى وتسعين
ج.أحدى وتسعين
٢٩. تعطى الدولة ذوي ... الخاصة اهتماما كبيرا.
- أ.الإحتياجات
ب.الأحتياجات
ج.الاحتياجات
٣٠. من ... عمله بإتقان، يبارك الله له فى أهله وماله.
- أ.يؤدى
ب.يؤد
ج.يأدى
٣١. يوجد فى الإدارة موظفة.
- أ.إثنتا عشرة
ب.أثنتا عشرة
ج.اثنتا عشرة
٣٢. وذلك ... على طلب من مدير الشركة.
- أ.بناءً
ب.بناءً
ج.بناءً
٣٣. سعادة الأستاذ مدير ... العاملين.
- أ.شؤون
ب.شئون
ج.شؤون
٣٤. إن لم ... عنى يارب، فإنى شقى.
- أ.تعفو
ب.تعف
ج.تعفى
٣٥. حيث قام بعمل ... خاص بالشركة.
- أ.استبانة
ب.استبانة
ج.أستبانة
٣٦. كانت نسبة نجاح المشروع تسعون من

ج.مائة

ب.مئة

أ.مائة

٣٧. أنت ... صالح.

ج.امراً

ب.امرئ

أ.امرؤ

٣٨. قام ... القطاع بعملهم على أكمل وجه.

ج.مهندسون

ب.مهندسو

أ.مهندسوا

ثانياً: ضع علامة (✓) أمام الجملة الصحيحة وعلامة (✗) أمام الجملة الخاطئة فيما يلي:

١. لقد خصصت المصلحة رقماً للإجابة على أسئلتكم. ()
٢. أريد الإستفسار عن متطلبات العمل بالمصلحة. ()
٣. تؤكد الشركة أهمية العمل الجاد. ()
٤. ومن هذا المنطلق يتثنى لنا شكر حضراتكم على جهدكم المبذول. ()
٥. لقد وضع السيد الوزير في ثنايا حديثه جذور مشكلة البطالة. ()
٦. أنهى الموظف عمله بإتقان. ()
٧. ومن يخالف ذلك يعد خارجاً على القانون. ()
٨. تهدف الوزارة إلى تكوين رؤيا جديدة للعمل. ()
٩. السيد مدير الشؤون المالية والإدارية العام. ()
١٠. صرفت علاوة للموظفين المتميزين على غيرهم. ()
١١. إن الموظف المخالف للزى الرسمى لن يُسمح له بالدخول. ()
١٢. على السادة المدرجة أسمائهم فى الكشف التوجه إلى مكتب المدير. ()
١٣. أكمل الموظفون الجرد السنوي . ()

١٤. اعتذر السيد وكيل الوزارة عن حضور الاجتماع لظروف طارئة. ()
١٥. هذه اللائحة يُعمل بها منذ التسعينيات من القرن الماضى. ()
١٦. وقد كانت نسبة الخسارة عشرين فى المائة. ()
١٧. وعلى ضوء المذكرة المرسله من السيد الوزير يرجى الإلتزام بالاتى. ()
١٨. أعلنت المصلحة عن توافر العمالة الكافية لاداء العمل. ()
- ١٩.أشّر الرئيس على طلب فلان بالقبول. ()
٢٠. أعطي المدير للموظفين الفرصة فى تدبر المشكلة وحلها. ()
٢١. ومن يتبع التعليمات المعلنة يكن له شأن عظيم. ()
٢٢. كان فلان موظفًا مجتهدًا. ()
٢٣. إن هذين الموظفان يستحقان العقاب. ()
٢٤. يجب ملاً الإستمارة بالبيانات الصحيحة. ()
٢٥. عزيزى العميل، لا تنس التوقيع أسفل الورقة. ()

ثالثاً: صحح ما تحته خط فيما يلى:

١. على السادة الموظفين التواجد فى أماكن عملهم.
٢. نود التبليغ بأنه سيقوم الموظفون بما كُلفوا به.
٣. تم تأجيل الجلسة إلى الساعة العاشرة مساءً.
٤. يتم تبليغ مدراء المصالح الحكومية بهذا الأمر.
٥. كما وضح فلان نواياه حسنة.
٦. نحيط سيادتكم علماً بأن النقاط الرئيسية للموضوع واضحة.
٧. وهذه إفادة منا بذلك.

٨. وقد ساهم ذلك فى زيادة الأعباء.
٩. ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية.
١٠. مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الأمر هام وعاجل.
١١. نرجوا من سيادتكم التكرم بالموافقة على الشلفة.
١٢. يلعب دورا عظيما فى زيادة الموارد الاقتصادية.
١٣. يتم صرف المكافآت والبدلات خلال الأيام المقبلة.
١٤. استلم السيد أحمد محمود مرتبه.
١٥. ومن الملفت للنظر أن التقارير المرسله إلينا لا تفى بالغرض.
١٦. قررنا -نحن الموظفون- الحضور بدءا من يوم الأحد القادم.
١٧. نشكر مساهمتمكم البناءة فى إنجاح المشروع.
١٨. هذا الموضوع عديم الفائدة.
١٩. والله على ما نقول شهيد.
٢٠. قد تم تأجيل موعد الإجتماع إلى يوم الثلاثاء المقبل.
٢١. وعلى كلا منهم الالتزام باللوائح والقوانين.
٢٢. تحمل المسؤولية أمر واجب.
٢٣. لن يتم قبول المستندات الغير معتمدة.
٢٤. الرجاء من السادة الموظفين الذين تغيبوا عن العمل الأسبوع الماضى موافقتنا بسبب ذلك التغيب.
٢٥. قام السيد محمد سالم كمدير للشركة باتخاذ القرارات الآتية.

رابعاً: حول الأرقام التى بين قوسين إلى كتابة:

١. قرأت (١١) لائحة مختلفة.

٢. ألا يزيد عمر المتقدم عن (٤٦) عامًا.
٣. كل من لديه (٥) أبناء.
٤. إن في السنة (١٢) شهرًا.
٥. بلغ تعداد إحدى القرى في محافظة قنا (١٠٠٠٠٠) نسمة.
٦. عدد أيام السنة (٣٦٥) يومًا.
٧. اقتضت المؤسسة من المصرف (١٨٥٠٠) جنيه.
٨. المسافة من هنا إلى هناك ما يقرب من (٦٥) كيلو مترًا.
٩. اشترت الهيئة أدوات مكتبية بـ (٣٥٥) جنيهًا.
١٠. بلغ سعر الدولار (١٨) جنيهًا مصريًا.

عَيْنِ التَعَابِيرِ الصَّحِيحَةِ مِمَّا يَلِي :

١. أ- نفاذ المهلة الممنوحة بنهاية الشهر الجارى
ب- نفاذ المهلة الممنوحةالخ .
٢. أ- صادق مجلس النواب على الاتفاقية
ب- صدّق مجلس النواب علىالخ .
٣. أ- المسببات آنفة الذكر
ب- المسببات المذكورة آنفًا.
٤. أ- تطبق القواعد على كافة المحافظات
ب- تطبق القواعد على المحافظات كافة .
٥. أ- لازالت المهلة سارية
ب- مازالت المهلة سارية .

٦. أ- وثيقة رسمية قانونية
ب- وثيقه رسميه قانونيه .
٧. أ- اعتذر رئيس اللجنة عن الحضور
ب- اعتذر رئيس اللجنة عن عدم الحضور .
٨. أ- تم تسليم المظروف الوارد
ب- تم تسليم الظرف الوارد .
٩. أ- إيزاء الهدف المنشود
ب- إزاء الهدف المنشود .
١٠. أ- تؤكد صحة ما توصلت إليه اللجنة
ب- تؤكد على صحة ما توصلت إليه اللجنة .
١١. أ- نحذر من عواقب المخالفة على كل من
ب- نحذر من عواقب المخالفة على كلا من .
١٢. أ- لا تنسى كتابة البيانات
ب- لا تنس كتابة البيانات .
١٣. أ- اختلفوا على موعد انعقاد الجلسة
ب- اختلفوا في موعد انعقاد الجلسة .
١٤. أ- الإجابة على التساؤلات
ب- الإجابة عن التساؤلات .
١٥. أ- تجريم التصنت على الغير
ب- تجريم التنصت على الغير .

١٦. أ- لزم التنويه

ب- لزم التنبيه .

١٧. أ- يحرمه من المكافآت

ب- يحرمه المكافآت .

١٨. أ- حيث أنه

ب- حيث إنه .

١٩. أ- أقرت اللجنة نفس القانون

ب- أقرت اللجنة القانون نفسه .

٢٠. أ- تسعى الدولة إلى طمأنة المواطنين

ب- تسعى الدولة إلى تطمين المواطنين .

٢١. أ- نأسف لهذا العطل الفنى

ب- نأسف على هذا العطل الفنى .

٢٢. أ- ينبغى على كل موظف

ب- ينبغى لكل موظف .

٢٣. أ- لايزال الحوار مستمرا

ب- مايزال الحوار مستمرا .

٢٤. أ- يتطلب الأمر عمل استبيان

ب- يتطلب الأمر عمل استبانة .

اختر الكلمة الصحيحة إملائيا فيما يأتى :

- ١- أ. لاكن ب. ذلك ج. أولئك د. هذان
- ٢- أ. قضاة ب. سعاة ج. مدرء
- ٣- أ. الاستعجال ب. الإستعجال
- ٤- أ. تباطؤ ب. تباطوء
- ٥- أ. مساءلة ب. مسألة ج. مسائلة
- ٦- أ. الاستراتيجى ب. الإستراتيجى
- ٧- أ. نموذج ب. نموزج
- ٨- أ. عذر ب. عزر
- ٩- أ. مذيلى فى نهايته ب. مزيل
- ١٠- أ. المسئولية ب. المسئولية
- ١١- أ. إزالة ب. ازالة
- ١٢- أ. الإجمالى ب. الاجمالى
- ١٣- أ. مشتروات ب. مشتريات
- ١٤- أ. الإطلاع ب. الاطلاع
- ١٥- أ. التساؤلات ب. التساءولات.

مع أرق المنى بالتوفيق

الفصل العاشر

اللغة العربية وتحديات الهوية

جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم علم اللغة

مؤتمر علم اللغة الدولي الثالث
(التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي)
١٤-١٥ فبراير ٢٠٠٦م/١٦-١٧ المحرم ١٤٢٧هـ

بحث
التعليم باللغات الأجنبية وأثره على هويتنا القومية

إعداد

د. منى محمد شحات

جامعة جنوب الوادي

كلية الآداب بقنا

رئيس المؤتمر
أ.د/أحمد عبدالعزيز كشك
عميد كلية دار العلوم

مقرر المؤتمر
أ.د/محمد حسن عبدالعزيز
رئيس قسم علم اللغة

"إن المغلوب مولع بالغالب في كل أفعاله وطرائق حياته"

ابن خلدون

"اللغة والقومية أمران متلازمان ومتعادلان"

فيخته

"إذا أردت أن يكون لك وجود فأثبتته بلغتك"

صالح بلعيد

"عندما يهتم المرء بتحدث لغة أخرى أكثر فائدة اقتصادياً وفكرياً بشكل واضح فإنه يهتم أيضاً بأن يصبح شخصاً آخر"

فلوريان كولماس

"إن اكتشاف أسرار اللغة هو الذي يعيننا على اكتشاف أسرار الأشياء في الوجود: كل الأشياء وكل الوجود"

د. عبد السلام المسدي

"نحن لا نرى العالم إلا بقدر ما تسمح به لغتنا"

ج. هاردان

"يمكن للإنسان أن يتكلم بلغات متعددة لكنه لا يعيش إلا بلغة واحدة"

جوته

اللغة العربية وتحديات الهوية

(إن هويتك بكل بساطة هي ماهيتك)

إن تحديات الوطن العربي ورناته تتكاثر وتتداخل وتتفاعل ، والحديث عن الهوية قد طرح للمناقشة والتداول والمعالجة مع بدايات الاحتكاك بين الحضارتين الغربية والعربية، خصوصاً بعد شمول السيطرة العسكرية الغربية على العالمين العربي والإسلامي لأن الغرب شرع في نشر لغته ونموذجه الحضاري داخل الأوساط العربية الإسلامية^(١)، فسعى الاستعمار الغربي إلى زيادة تهميش عناصر الثقافة العربية والإسلامية وأهمها اللغة العربية كأداة فاعلة لنقل الثقافة والمحافظة عليها باعتبارها الوسيلة الوحيدة للارتباط بالموروث الثقافي للأجداد، هذا الموروث الذي كان وما يزال يغذى ويعمق إمكانات التحدي والبقاء، ويمكن من الاستمرارية ويقاوم الذوبان الحضاري.

إن وحدة اللغة توجد نوعاً من الوحدة في الشعور والتفكير وتربط الأفراد بسلسلة طويلة ومعقدة من الروابط الفكرية والعاطفية، وتكون أقوى الروابط التي تربط الأفراد في الجامعات، وتتميز الأمم بعضها عن بعض في الدرجة الأولى بلغاتها" واللغة روح الأمة ومحور القومية وعمودها الفقري وهي أهم مقوماتها ومشخصاتها"^(٢).

ومن تفحص الموقف الحضاري المعاصر نجد ثمة خطراً يحرق بامتنا العربية والإسلامية ويتمثل في تهديد هويتها وطمس معالم شخصيتها الوطنية.. وأمام سطوة دعاوى العولمة تتراجع قيم الانتماء

(١) جون جوزيف: اللغة والهوية، ترجمة: عبدالنور الخزامي، عالم المعرفة، أغسطس ٢٠٠٧م.. رقم ٣٤٢.

ولقد ناقش الكتاب بعض الآراء التي أكدت أن الهوية في بعض تصوراتها منجز لساني لغوي.. بل قرر أن اللغة هي التي أنجزت الهوية.. فاللغة تصنع الهوية وتحددها وأن الاختلال في هذه العلاقة مصدر أساسي لخلق شخصية مضطربة مرتبكة.

حبيب آل جميع، ثقافتنا والعولمة، وجهة نظر نقدية، العدد ٣٨.

(٢) ساطع الحصري: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ص ٨، دار العلم للملايين ١٩٤٤م.

والولاء ومن ثم يفرغ مفهوم الهوية^(١) الذي من أركانه الرئيسية: الدين، اللغة، القيم، التراث، التاريخ.. وحينئذ تتبدد القيم الحافزة على النهوض الثقافي والاجتماعي، وأصبح لزاماً على أنظمتنا التعليمية العربية مواجهة عصر العولمة والمعلوماتية.

وقضية اللغة والهوية قد حظيت ولعقود باهتمام نظري لدى المؤسسات الرسمية والتعليمية والمنظمات والهيئات العلمية العربية^(٢)، إلا أنها لم تحظ بكثير من التطبيق والتعميم وكان لا بد من استقصاء أسباب العجز والتقصير في التنفيذ.

^(١) الهوية في ثقافتنا العربية والاسلامية هي الامتياز عن الأغيار.. فالهوية تطلق على معان ثلاثة: التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي.. وجاء في كتاب الكليات لأبي البقاء: ماهية الشئ هو باعتبار تحققه يسمى ذاتاً، وباعتبار تشخيصه يسمى هوية.. فالمفهوم الشائع للهوية مرتبط بالامتياز عن الغير والمطابقة للنفس وخصوصية الذات وما يتميز به الفرد والمجتمع عن الأغيار من قيم ومقومات، والهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم هي القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات والقوميات الأخرى..

انظر بالتفصيل: أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص ٩٦١، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، الموسوعة الفلسفية العربية، ج ١، ص ٨٢١، معهد إتمام العربي، بيروت ١٩٩٥م؛ مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص ١٣-١٤. نهضة مصر. ١٩٩٩م.

^(٢)لنا أن نتأمل في الأتي:

*انتهى المؤتمر الإقليمي لتعريب التعليم الطبي في العالم العربي(القاهرة ١٩٩٠م)، بتوصية خطة تنفيذية يعرب من خلالها بطريقة تصاعدية وعلى مراحل في مدة عشر سنوات تنتهي (عام ٢٠٠٠م)، في المرحلة الأولى تعرب علوم السننتين الأولى والثانية ويقوم أعضاء هيئة التدريس بترجمة بحوثهم ومنشوراتهم إلى العربية. وخلال الفترة الثانية التي تمتد عامين تؤلف أو تترجم كتب السنوات المتقدمة " الثالثة الى السادسة، أما المرحلة الثالثة فتمتد خمس سنوات وتشمل التنفيذ الكامل لمسيرة التعريب الطبي.

وها نحن في عام ٢٠٠٦م ولنا أن نتعجب من سرعة سلحفاة الإنجاز العربي؟؟؟

*المؤتمر الثاني لوزراء التعليم العالي والبحث العلمي في العالم العربي المنعقد في تونس عام ١٩٨٣م الذي طالب بالاسراع في تنفيذ القرار القومي للتعريب وبتكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالاشراف على تذليل عقبات التعريب بين الأقطار العربية وتوسيع مجال التعريب ليشمل القطاعات الخاصة والعامة من وسائل الاعلام.

وبحلول القرن الواحد والعشرين يكون قد مضي قرن كامل على تبلور اليقظة العربية الحديثة في أهداف وطنية وقومية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية كثفها الوعي العربي المستيقظ في شعار النهضة " الشعار الذي صار منذ ذلك الوقت علماً عليها ومشروعاً لتحقيقها إن مدة قرن من الزمان تجعل الوقوف قصد المساءلة والمراجعة مشروعاً تماماً بل ضرورياً^(١).

وها نحن في عام ٢٠٠٦م يمتألفنا العربي بالقنوات الناطقة باللغات الأجنبية المتخصصة؟؟؟ وبالنظر إلى الجانب الأخر- جانب التطبيق العملي- نجد أن اللغة الانجليزية هي لغة تدريس الطب والهندسة والصيدلة والحاسب في جامعاتنا العربية " ما عدا الجامعات السورية" منذ أمد بعيد واعتباراً من عام ٢٠٠١م انخفض عدد الساعات المخصصة لمقررات اللغة العربية المطروحة لجميع طلاب الجامعة ضمن متطلبات الإعداد العام بجامعة الإمارات العربية المتحدة إلى مقررين دراسيين ساعتين معتمدين " ٣٢ ساعة في الفصل الدراسي لكل مقرر" وصاحب هذا الانخفاض ارتفاع في عدد مقررات اللغة الإنجليزية المطروحة على متطلبات الإعداد العام إلى أربع مستويات بواقع " ٣٠٠ ساعة" تدريسية للمقرر الأول. و" ٢٠٤ ساعات لكل من المقرر الثاني والثالث والرابع، إضافة إلى طرح" ١٢" مقرر في اللغة الانجليزية لعموم طلاب الجامعة.

وازداد عدد المعاهد الخاصة التي تنفذ دورات مكثفة في اللغة الانجليزية في جميع الدول العربية إضافة إلى تلك التي يفتتحها المركز الثقافي البريطاني وازداد عدد المدارس الخاصة التي تدرس اللغة الإنجليزية وفي مصر بلغ عدد مدارس اللغات ٥٥٧ مدرسة في حين لم يتجاوز عددها قبل عشر سنوات ١٩٥ مدرسة.

وباللقاء نظرة على ما يسمى بالمدرسة الأمريكية في مصر والتي بدأت بالفصول الثانوية وانتهت بجميع المراحل التعليمية وهي التي أنشأت في ظروف استثنائية بعد قيام حرب الخليج فقد زاد عددها من مدرستين عام ١٩٩٩م إلى ٥٠ مدرسة عام ٢٠٠٥م وهي نموذج من المدارس الموجودة في الولايات المتحدة من حيث المناهج وطرق التدريس ونظام التقويم ومدير المدرسة ومساعدوه أجنب ولكل مدرس مطلق الحرية في اختيار الموضوعات التي يتم تدريسها.

*راجع بالتفصيل: الشهادات الأجنبية في مصر نقاط فوق الحروف، الأهرام التعليمي. العدد ٩٧-٩٨، اكتوبر ٢٠٠٥م مع عرض رسالة الدكتوراة للباحثة/ بثينة رمضان عن " النظم التعليمية الوافدة وأثرها على النسق القيمي" معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة.

-التعريب بين القرارات والتوصيات. وجهة نظر. ممدوح خسارة. مجلة التعريب ١٩٩٧م.

(١) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر. ص ٥. دار الطليعة. ١٩٨٥م.

ولنا أن نتساءل ألم يأن للمسئولين عن المؤسسات التعليمية والثقافية العربية الإيمان بأهمية اللغة في الحفاظ على الهوية القومية وأن الأمم تبقى أو تزول ببقاء لغتها أو زوالها وأن يعوا أن " اللغة مكون أساسي من مكونات هويات الأمم" (١).

إن قضية اللغة مرتبطة بمستقبل الأمة ومصيرها وذاتيتها الثقافية واستشعار التحديات ومكائد الأعداء ومواجهتها حواراً أو صراعاً وعدم اليأس والعجز والاستسلام والوضوح في المنهج لمواجهة تيار العولمة اللغوية (٢). القائم على أن القوي هو من يفرض لغته وعلينا فرض لغتنا فهي الحافظة لتراثنا، الجامعة لأمتنا من حيث توزعها الأمكنة.

إن هدف الدراسة هو استنفار عقول المسئولين في الأمة إلى النظر في جعل الهدف الأسمى للتعليم والإعلام والثقافة (٣)، والعلوم هو تأكيد الهوية الثقافية العربية وتجديدها وأن ما يحدث من ضياع للغة يعني ضياع لذاكرة الأمة، إن هذه الدراسة لن تستغرق تفاصيل التطور الكمي في هذه الميادين في الوطن العربي فإن كل الدراسات والنشرات الإحصائية (٤)، تؤكد جهود الدول العربية في تعميم التعليم وتوسيع رقعة انتشاره وكذلك وسائل الإعلام ومناحي الثقافة ومؤسسات العلوم.

(١) محمود إبراهيم، تعريب التعليم العالي، ص ٤٦. دار آفاق للنشر، عمان ١٩٩٤م.

(٢) إن جنسية الفكر هي اللغة وكل ما يكتب في لغة ما يصبح جزء من تراثها مهما كانت الجنسية السياسية والحضارية للكاتب يؤكد ذلك أن كثيراً من العلماء المسلمين ممن لم يكونوا في الأصل عرب قد اختاروا اللغة العربية للتعبير والتأليف والعلم والتعليم وذلك لتمكنها من متابعة التيار الحضاري والعلمي في شتى نواحيه.

(٣) الثقافة كلمة عريقة في اللغة العربية أصلاً فهي تعني صقل النفس والمنطق والبطانة وفي القاموس المحيط: ثقّف صار حاذقاً فطناً وهي تعني بتثقيف الإنسان. تسويته فكراً ووجداناً وتقويه سلوكاً وفي العموم فإن الثقافة: هي الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق.

(٤) راجع بالتفصيل: منتدى الفكر العربي - المخطط العام لمشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي. البحرين - أكتوبر ١٩٨٧م، مجلة التربية الجديدة، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في البلاد العربية، أغسطس ١٩٨٧م.

إن هذه الدراسة محاولة للنظر إلى الكيف لتتعرف على مدى القرب من تحقيق الغايات التي أنيطت بالمؤسسات العلمية والبحثية والإعلامية والثقافية في وطننا العربي.

وتتعدد مصادر التحديات التي تواجه الهوية بقدر ما تضعف المناعة لدى الفرد والمجتمع ولكن المصدر الأساسي الذي يعد التحدي الأكبر لهوية الأمم والشعوب كافة يكمن كما ذكرنا في السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسعى إلى الهوية الشمولية التي تفرضها في أطر التوافق القسري والإجماع المفروض بالقوة، وإلزام العالم بنظام اقتصادي وسياسي واجتماعي وثقافي واحد، وثمة علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة ولا يمكن الفصل بينها فما من هوية إلا وتختزل ثقافة والثقافة في عمقها وجوهرها هوية قائمة بذاتها.

إننا نحاول في هذا البحث الإجابة عن تساؤلات حول علاقة التعليم- بوصفه التحدي الأكبر في الحفاظ على الهوية- في وطننا العربي بالمجتمع الذي يعبر عنه، وبالطبقات والفئات الفاعلة التي يفرزها، وبالتحولات وأشكال التغيير التي تحدث في مجتمعنا العربي، وبدوره في التنشئة الاجتماعية وغير ذلك من القضايا التي تجسد الدور الإيجابي للتعليم على مختلف الأصعدة الاجتماعية والسياسية والثقافية، وكان هذا يقضي منا التساؤل عما إذا كان التعليم الراهن أداة تحديث وتطوير للمجتمع والفكر أم أداة تكرر واجترار.

وللأسف فإن التعليم في بلادنا أسير ما ألقى عليه من ظلال وسط نظم تعليمية جامدة استعرتها ممن تخلوا عنها، وأسير هياكله التقليدية النمطية في ظل غياب دور مؤسسات البحث العلمي عن تقويم جوانبه واتخاذ خطوات فاعلة لوضع صورة متكاملة عن التعليم يعتمد على اتخاذ أدوار تحقق قدرًا طيباً من التطوير والنجاح، إن برامجنا التعليمية الحاضرة مهما أجرينا عليها من تعديلات تبقي في أساسها مما فرضه علينا المستعمر وهو في أحسنه تقليد أونسخ.

بل إننا في غمرة ما حل بنا واعتماد حياتنا على التوريد واستعارة ما ملك الغير وقد دفعنا موقف المستهلك لا موقف المبدع المنتج، أصبح الاستعمار الثقافي والتبعية اللسانية سما يسري في شرايين الأمة تتفصم به العري بين أبناء الأمة الواحدة، وأصبحت اللغة في التعليم لدينا تمثل الآن اللازم المهمل، الأساس الذي يأتي في آخر قائمة الأولويات، متغافلين عن أن اللغة هي القالب الذي يصب فيه التفكير فكلما ضاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ضاق نطاقه الفكري واختل نظامه وهزل إنتاجه.

وبدلاً من أن يساعد التعليم على تجميع الطاقات وعلى توحيد صفوف الأمة، كان التعليم من دواعي الانحلال والفرقة، ناقضاً للاعتدال الاجتماعي وقد ظهرت آثار هذه الكارثة المخلة بالاستقرار في ميادين مختلفة وعلى مستويات متفاوتة ظهرت في معركة القديم والحديث، والنزاع بين القيم المستوردة والقيم الأصيلة المتوازنة، وظهرت في الهوة بين المدرسة والحياة الاجتماعية بين مادة الدرس والتجربة اليومية فاضطربت الأمور وتفاقم القلق، ونشأ جيل أحس بمرارة الاغتراب، إن التعليم باللغات الأجنبية أنتج ازدواجية ثقافية ولغوية وأصبح لدينا في الوطن العربي جيلان من المتعلمين:

* جيل ذي ثقافة ميته لا تستجيب لضرورة العصر .

* جيل منقطع عن الجذور ينتسب إلي تجربة لا علاقة له بها .

وبذلك أصبح لدينا مثقف عصري مقطوع الجذور مع بلاده، ومثقف تراشي لا يصلح لأداء أية مهمة في مجتمعه، لذا كان لابد من إيجاد تعليم واحد لا يكون فيه الطالب موزعاً بين ما هو أجنبي في بلاده وما هو من زمن آخر، يجب أن يندمج الاثنان معاً ليوحد المثقف العربي لأن كليهما ناقص^(١).

(١) لقد ذكر الجوزجاني أن شيخاً لغوياً هو أبو منصور الجبان التفت مرة إلي ابن سينا قائلاً أنك فيلسوف حكيم ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها، فاستكف أبو على من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ثم تحدى أبا منصور في اللغة وفاز عليه . نحن لا نطلب إلي الناشئ أن يكون لغوياً كالشيخ الرئيس ابن سينا ولا مبينا كل ميدان مثله، ولكن لا بد للعالم من إتقان لغة قومه والتعليم والبحث فيها ونجد في التراث أيضاً أن العلوم مطالعها من ثلاث أوجه: قلب مفكر ولسان معبر، وبيان مصور: أدب الدنيا والدين للماوردي- وهذا يدل على أنه لابد في التعلم والتعليم من قلوب أو

ومما لا شك فيه أن وسائل إعلامنا العربي بالشكل والكيفية القائمة عليها الآن تشكل خطراً جسيماً على الهوية الثقافية للعرب والمسلمين من خلال ما يسمى " بالقوة الناعمة" (الإعلام العالمي) الخاضع تماماً للسيطرة الصهيونية والتي تحاول من خلال هذه القوة فرض مفهوم العولمة على الآخرين.. وهذا يتم بوعي تام من قبل من يملك الوسائط الإعلامية وبدون وعى من قبل المستفيد أو المستهلك لهذه السلع الإعلامية.

ومن أخطر نتائج اللاوعي الإعلامي العربي نفشى ظاهرة الضعف اللغوي.. ومن مظاهرها الازدواجية اللغوية التي تعانيتها أهم أدواتنا الحضارية ومؤسساتنا الإعلامية وقنواتها المفتوحة التي تدخل مباشرة في كل بيت وغرفة ومكتب في كل زمان ومكان.. مع إلغاء للمحتوى الثقافي وتمييعه وكذلك إقصاء قيمنا الإنسانية.

فإعلامنا- اليوم- يشكل عامل هدم للغة.. ونشأت أجيال إعلامية تهشم الفصحى وتهمشها وتلغي التواصل وتعمق الانفصال ولا تدرك أن التعددية اللغوية تعنى تعددية ثقافية.

لقد حاولت القوى الاستعمارية عن طريق الإعلام والثقافة والتعليم^(١) إعداد أبناء الشعوب المستعمرة للقيام بأدوار تبقي على العلاقة بينهما نقلت للدول التي استعمرتها فكرة أن التعليم هو الطريق إلى

عقول متدبرة مفكرة لتستوعب المعانى والمعلومات ولا بد فيها أيضاً من ألفاظ ومصطلحات تقابل تلك المعاني ومن بيان يستوفي تلك المعلومات دون زيادة ولا نقصان ولهذا لا بد للأستاذ من إتقان لغة قومه ولا بد له من التأليف فيها والتعليم بها أيضاً. ولا نستطيع أن ننصور جامعة عربية إسلامية تعلم على إختلاف أنواعها بغير اللغة العربية مهما اعترضت العقبات ونشبت دون ذلك الصعوبات وتقدمت في سبيله العثرات.

راجع بالتفصيل: سمات العلم والتعليم في الحضارة العربية الإسلامية د/ عبد الكريم اللياقي، مجلة التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب، ع ٣٣ دمشق. اكتوبر ١٩٨٨م.

^(١) من أمثلة ذلك وصية الأميرال قي دون الوالي الفرنسي على الجزائر: إذا ما سعيتم إلى استمالة الأهالي بواسطة التعليم وبالإحسان قدمتم خدمة جليلة للبلاد الفرنسية. فليس في وسع فرنسا أن ينجب من الأبناء ما يكفي لتعمير الجزائر وصار من اللازم أن يستعاض بفرنسة مليوني البرارة الخاضعين لسلطانها. مجلة العالمين، باريس. ابريل ١٩٢٥م، ص ٥٨٨. وقال بينو الوزير السابق في الحكومة الفرنسية لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية ،

التحضر والارتقاء إلى مستوى المستعمرين.. إن المدخل الحقيقي إلى الاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية والثقافية.

ولقد نقل العالم الثالث نظام التعليم الغربي على أساس أنه سيقوم بالدور نفسه الذي سبق أن أداه في تاريخ الغرب لكنه وفيما يؤكد مارتن كارنوي "Carnoy"^(١) كان بعيداً كل البعد، وإنما جاء إلى معظم البلدان النامية كجزء من الإمبريالية متنقلاً مع مراميها وهي السيطرة على الطبقة الحاكمة في بلد آخر، ولم يساعد التعليم التأسس على أن يتخطوا الهرمية القائمة في مجتمعاتهم، وإنما عمل على تطويعهم لحاجات هذه الهرمية سواء لمصلحتهم أو لغير مصلحتهم وبدلاً من نشر التعليم كانت مهمته أن يعقلن ما لا يقبله العقل بحيث يتقبلون البني التي تستبعدهم، وبدلاً من تنمية الديمقراطية والفكر الناقد أدى التعليم دوره في إسكات الناس والرضا ببنية القوة في مجتمعهم من غير اعتراض وهذا هو الجانب الاستعماري في التعليم.

ومن الثابت أن :-

وكذلك الكاردينال لا فيجري: "إننا إذا ما كسبنا ثقة الشعوب بالإحسان وبتعليم الصبيان سيأتي يوم ينقسم فيه ما بينها من عري بكيفية تلقائية وستهوي ساقطة لأدنى هوة شأن الثمرة الناضجة وسنجني نحن قطفها".

^(١)راجع بالتفصيل: فلسفات تربوية معاصرة. ص ١٦٢-١٦٣، وما بعدها . عالم المعرفة، الكويت، ع ٩٨، يونيو ١٩٩٥م.

- كما يرى د/ أحمد المهدي عبدالحليم: أن الدول النامية ظلت أسيرة النظام التعليمي الاستعماري الذي أنشئ فيها قبل تحقيق استقلالها عن الدول المستعمرة، وتشير الدراسات العالمية المقارنة إلى أن كثيراً من الدول النامية قد غدت معرضاً عالمياً كبيراً لأشنان من النماذج والفلسفات والنماذج التعليمية الوافدة من كل أنحاء العالم الصناعي مرتدية شعارات التجديد أو التحديث أو التطوير.

- راجع بالتفصيل: نحو اتجاهات حديثة في سياسة التعليم العام وبرامجه ومناهجه. عالم الفكر. مج ١٩، ع ١٩٨٨م. وزارة الاعلام بالكويت، ص ٢٠.

التفاعل بين اللغات يتبعه تفاعل بين الثقافات شريطة الاحتفاظ بلغة الأمة وشخصيتها وقوميتها.

لقد أكدت الدراسات^(١) على أن اللغة القومية هي أداة التعلم ووسيلة التعليم وأن اللغة وسيلة فعالة في التواصل الثقافي إذ من شأن إتقان تعليمها أن يجعل الفرد قادراً على التواصل مع أبناء ثقافته بصورة يتخطى بها حدود الزمان والمكان، وعلى استيعاب التراث الثقافي لأمته في مجالات المعرفة المختلفة. ولزماً - أن نؤكد - أن التثبيت بالهوية القومية لا يعني بأية حال المناداة بالانغلاق الثقافي، كما أن تحديد الهوية الثقافية لا يعني التبعية أو ذوبان الهوية القومية في الهويات الأخرى تحت شعار (التجديد أو التحديث أو التطوير) ولا يخفى على أحد أن وضعنا اللغوي الراهن ينذر بفجوة لغوية تفصل بيننا وبين كثير من الأمم التي تولي لغتها القومية أقصى درجات الاهتمام.

ذلك أن ثقافة الأمة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها ونحوها ونصوصها، فاللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية فالحضارات الإنسانية حين قامت صاحبها نهضة لغوية^(٢) والصراعات بين البشر على

^(١)راجع بعض هذه الدراسات مثل:-

- عبدالكريم خليفة: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧م.
- شحاته الخوري: تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي. دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٧م.
- صبحي الصالح: تقويم تجربة التعريب في المشرق العربي، المستقبل العربي ١٩٨٢م، ع ٣٩، ص ٧١-٧٨.
- د. صادق الهاللي: تعليم الطب بالعربية، شؤون عربية، ع ١٩٨٦، ٤٧م، ص ١٠٦-١٢٣.
- د. أحمد شحلان: جهود مكتب تنسيق التعريب، في قضايا اللغة العربية والتعريب خلال ثلاثين سنة. مجلة اللسان العربي، ١٩٩٣م.

<http://www.ucatap.htmlplanet.com/arabization-j/accessories/DIR-٢٠.htm>

- محمود إبراهيم: تعريب التعليم العالمي. دار آفاق النشر. عمان ١٩٩٤م.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية. د. زغول راغب النجار، سلسلة رسائل إسلامية. المعرفة ١٩٩٠م.
- د. تمام حسان: مقالات في اللغة والأدب. معهد اللغة العربية. جامعة أم القرى. ١٩٨٥م.
- د. عبدالصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية. دار الاعتصام القاهرة.

^(٢)قل إن وجدت حضارة من الحضارات في الزمن القديم أو الحديث رفعت من قيمة العلم وحثت على طلبه وبثه كالحضارة العربية الإسلامية. وقد كان لامتداد المساحة الجغرافية التي غطاها اللسان العربي واحداً من أهم آثار الفتوحات الإسلامية

مدى التاريخ إذا حللت سبب قيامها نجد هدفاً ثقافياً وراء قيامها يتمثل في نشر لغتها ومن ثم فرض ثقافتها التي هي سبب قوتها وسيطرتها حتى قيل " أنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية"^(١).

وإذا كان ديكرت قد قال: " من يمتلك عقلاً يمتلك لغة" فإن المعني باللغة يقول: " إن من يمتلك زمام لغته الأم يمتلك ثقافته يدافع بها عن عقل أمته" .

إن التعليم باللغات الأجنبية هو ولادة لأبنائنا خارج موروثهم وتاريخهم وواقعهم, بل إن ارتباط علومنا باللغة الأجنبية في سبيل الوصول إلى المعرفة بدلاً من ربطها باللغة العربية أدى إلى إنزالها عن ماضيها في غربة تراثها وتاريخها ولغتها. فحدث الانفصام الثقافي الذي زاد اليوم بين العلم وحضارة الأمة فغدا العلم هجيناً في شجرة لا تألفه وأدى ذلك إلى بقاء الأمة ناقلة بدلاً من أن تكون أمة مبدعة^(٢).

بل أن الأمر قد وصل بنا إلى أن لغة الحوار أصبحت في المحافل العلمية العربية باللغة الأجنبية فمؤتمر طب الأسنان العربي التاسع عشر الذي عقد بالخرطوم ١٢/١٩٩٤م كان الحوار فيه بالإنجليزية... بل الذي أثار الاستغراب أن إحدى الندوات التي كانت عن " المسواك وفوائده"^(٣) قدمت باللغة الإنجليزية وتلاه النقاش بالإنجليزية!!!

التي جعلت عملاً ضخماً من أبناء البلدان المجاورة للجزيرة العربية, مهبط الوحي. هادفين إلى معرفة الإسلام وتوجهت عزائم كثير من أبناء اللسان غير العربي إلى إرادة تعلم العربية توصلوا إلى إدراك مبادئ الحضارة العربية. راجع بالتفصيل: سمات العلم والتعليم في الحضارة العربية الإسلامية, د. عبدالكريم الباقي, ع ٣٣, ص ٩.

^(١) راجع بالتفصيل: د. محمد عبدالعال الواقدي, نحو لغة عربية فعالة في إطار التعددية اللغوية, ولأخذ مثلاً جزيرة قبرص التي يسكنها منذ زمن طويل جماعات من الناس تضمهم أرض واحدة ومصالحهم الاقتصادية مشتركة وفي صلاح أمر الجزيرة واستقرار الرخاء والأمن فيها خيرهم جميعاً ومع هذا نشهد صراعات الفريقين في هذه الجزيرة الصغيرة ولا مسوغ لها إلا وجود لغتين مختلفتين هما اللغة التركية واليونانية.

د- إبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية, ص ١١٥.

^(٢) تعلم العلوم الصحية والفنية باللغة العربية. منظمة الصحة العالمية. القاهرة ١٩٩١م, ص ٦.

^(٣) راجع بالتفصيل: تعريب التعليم الجامعي وأهم المشاكل التي تواجهه. د. عبدالرؤوف خربوش.

إن الصراع يجري في المجال الفكري والسياسي والقيمي والأخلاقي من خلال الأجهزة الأيديولوجية وفي مقدمتها أجهزة التعليم، هذا ما دعي بعض الباحثين^(١) إلى أن ينبه إلى خطورة ما أسماه " بالأهداف الضمنية" للتعليم، ذلك أن التعليم إذا كانت له أهداف معلنة يهتدي بها فهناك أخرى خفية توجه الكثيرين، من بينهم آلاف المعلمين وأهداف التعليم المطورة في دستور، المطبوعة في تشريعات حدودها واضحة، ومعالمها يسهل التعرف عليها، إلا أن مكامن الخطورة في أهداف ضمنية يصعب الاهتداء إليها في حين أنها تحرك لا شعورياً كثيراً من المنظمات والأفراد.

وهناك بعض التساؤلات حول: " لِمَ كانت المؤسسات الدولية- بما فيها تلك الموجودة والمنتشرة في الدول المتقدمة التي تقدم عوناً دولياً- مهتمة بهذا القدر بشئون التعليم، ولماذا تقدم بل أحياناً تطرح بإلحاح أنماطاً معينة من الإصلاحات التعليمية تحت دعاوى متعددة، وكم يحيرنا ذلك التجاوب الذي لا حدود له من قبل الدول المانحة والمؤسسات الدولية مع مطالب الدول المتلقية في هذا الشأن؟!".

إذا أردنا أن نتخطي التفسيرات الساذجة الشكلية للمهمة الإنسانية للتعليم فعلينا أن ننتقل من نقطة أنه: (لا يمكن أن يكون التعليم محايداً).

لأنها وسيلتنا نحو التفكير الانتقادي الجدلي ولأننا نفتقد هذه الروح الانتقادية فإننا نعجز عن إدراك الدور الحقيقي للتعليم ولتلك الأنشطة المانحة وحتى إذا ما أدركنا البعض منها فإننا نخفيه ولا نصرح به، لقد أفقدنا التعليم باللغات الأجنبية الروح الانتقادية الجدلية في العلم، وتلك أولى درجات سلم التبعية والانتقادي الأعمى لمجاهل ثقافة اللغة الغالبة.

(١) حسان محمد حسان: في فلسفة المدرسة الابتدائية في الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس، القاهرة، دار الثقافة

للطباعة والنشر، ١٩٨١م، ص ٧.

إن مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية بهياكلها ونظامها ومناهجها وروحها ولسانها قد اقتلعت اقتلاعاً من الدول الأجنبية وتم استردادها منها^(١)، تبث في النشئ العربي تعاليم لا تمت إلى الثقافة القومية بصلة وبدعاً منافية لسنن الأمة ومناهجها القويم، فيجتث الشباب العربي من بيئته ومن وسطه الثقافي إلا " إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" بل إن محتوى المناهج المستخدمة حالياً إنما يؤدي إلي تعزيز الاغتراب الثقافي، لأنها مناهج تم اقتباسها من نظم أجنبية وتمثل أداة رئيسة لدعم عمليات الغزو الثقافي^(٢) التي تتعرض لها الأمة العربية والبلدان النامية جميعها.

إن المؤسسات التعليمية العربية لا يمكن أن تؤدي دورها في تعزيز الهوية الثقافية العربية وترسيخها وإحداث نوع من التبادل المتوازن مع الثقافات الخارجية الوافدة إلا إذا تم تعريب هذه المؤسسات لغة ومحتوي في إطار ترسيخ هذه الهوية والانفتاح على الثقافات الأخرى والتحاور معها.

^(١) وحقق في المدارس والتعليم فيها أولئك المدرسون للمواد المختلفة لا يحسنون لغتهم ولا يحسنون الإبانة، فهم عوام في شرحهم وتلقينهم، وهم أشباه عوام في تأليفهم وعرضهم وهم لا يلحون لتلاميذهم وطلابهم حقائق نيرة بينة، وليس ذلك فحسب بل هم يرمون باللغة ويتأففون ممن يرجو لديهم بياناً لها، أو صحة تعبير، فإذا هم يركزون في نفوس التلاميذ كراهية اللغة القومية، إن لم أقل احتقارها وهم يمللون الصدور بما يخلبها من الشعور الذاتي والإحساس القومي. وإذا الحلقة المفرغة تزيد ضيقاً وتعنف خنقاً وإذا الوحدة الاجتماعية تزداد تصدعاً كلما إزدادت الأهواء تفرقاً والأمزجة تبايناً، وكلما وهن المساك المشترك من اللغة التي تصل النفوس، وتربط القلوب حين تشكو ألمها وتعشق أملها وتوحد مثلها لأن الازدواج اللغوي أشد ما يكون حائلاً دون ذلك كله، إن الأزمة اللسانية- على حد تعبير أ. أمين الخولي- ليست إلا أزمة اجتماعية عملية او علمية تعليمية. وفنية حيوية وهي ببعض ذلك خليفة بأن تكون أزمة وطنية سياسية. والمؤسف له حقاً أن كثير من طلابنا يحفظ قواعد اللغة ولكنه لا يعرف كيف يطبقها لأنه لم يتعلمها بشكل وظيفي ولم يستخلصها بنفسه وإنما يتلقاها دفعة واحدة دون خلق وعيه بجمالياتها.

-راجع : أمين الخولي، من هدي القرآن، مشكلات حياتنا اللغوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ١٠.

^(٢) راجع بالتفصيل: الجامعات وتحديات المستقبل مع التركيز على المنطقة العربية، عبدالله بوبطانة، عالم الفكر. ص ١١١

وما بعدها، مج ١٩، ٢٤، ١٩٨٨م.

إن نظرة سريعة إلى المجتمعات المتقدمة^(١) تؤكد لنا أن استيعاب تلك المجتمعات للحضارة الحالية وإسهاماتهم فيها ما كان ليكون لولا تفاعلهم معها بلغتهم وليس بلغة أجنبية.

إن التمسك بالفصحى الموحدة ومفاهيمها ومصطلحاتها العلمية والحضارية يقود حتماً إلى توحيد المجتمعات العربية على الصعيد الفكري والقومي.

^(١) إن التعليم الجامعي في دول العالم يتم باللغة القومية فهو في بريطانيا والولايات المتحدة وأستراليا بالإنجليزية وفي الصين باللغة الصينية ولغة التدريس في الجامعات اليابانية هي اللغة اليابانية والبعض يفضل أن يبرهن على التجربة الهندية والصينية لأنهما بلدان ينتميان إلى حضارتين عريقتين تعرضتا للاضمحلال عهداً وكلاهما كان أسوأ حالاً من الوطن العربي ولكن في الثمانينات نرى الهند تكتفي ذاتياً في الغذاء وتتقدم في مضمار القدرة التكنولوجية الذاتية والصين مازالت المثل على الانجاز في إشباع الحاجات الإنسانية لربع سكان الأرض وبناء القدرة الذاتية.

* أما التجربة اليابانية فإنها تعتبر أكثر التجارب التاريخية نجاحاً في تلافي خطر الحضارة الغربية وغرورها عبر تعلم استخدام نفس أسلحة الغرب المتفوقة اقتصادياً وعسكرياً ذلك لأنها بلد متجانس لغوياً بدرجة عالية وفي جيل واحد استطاع أن ينجح في إصلاحات لغوية متميزة. ويمكننا اعتبار الإصلاح التعليمي في اليابان أهم عوامل الإصلاح نظراً لدور التعليم في تغيير بنية المجتمع جذرياً وذهنية الإنسان وتهيئة إمكانات المجتمع لمواجهة التحديات، ولقد أصبح التعليم هو الذي يحدد دور الفرد ومركزه في عصر الجدارة والتفوق الياباني الراهن، والواقع أنه لا يوجد سبب رئيسي لنجاح اليابان أكثر من نظامها التعليمي مما يستوجب علينا ويدفعنا للتعرف على ملامح هذا النظام . راجع بالتفصيل: "اليابانيون" أدوين راشاور . ترجمة: ليلي الجبالي . مراجعة شوقي جهلان، عالم المعرفة، ١٣ع، الكويت . أبريل ١٩٨٩م، ص ٢٣٩. وما بعدها.

- ولقد استطاعت اليابان أن تصبح دولة عظمى من النواحي التكنولوجية والفنية والحضارية في زمن قياسي وأصبحت تتنافس دول أوروبا وأمريكا من حيث إحداث التفاعل والإنصهار بين حضارتها الوطنية الأصلية وبين مختلف المعارف العالمية الحديثة التي تمكن الشعب الياباني في استيعابها وجعلها جزء من مقومات الحضارة اليابانية وفي الوقت نفسه ظل هذا الشعب حريصاً على تراثه الاجتماعي المتميز وتمسك بهويته اليابانية. راجع بالتفصيل: د. نجاته عبدالعزيز المطوع " آفاق الترجمة والتعريب" ، عالم الفكر . مج ١٩ . ٤ع ، ١٩٨٩م، ص ٨.

- تشير إحصاءات منظمة الأمم المتحدة إلى وجود تسعة عشر دولة في صدارة العالم تقنياً يتراوح عدد سكانها بين ثلاثة ملايين وثمان مائة ألف نسمة وبين واحد وتسعين ومئتي مليوناً يسير فيها التعليم والبحث العلمي بلغتها القومية ولا توجد دولة عربية واحدة ضمن هذه المجموعة من الدول.

كما تشير دراسة حديثة عن أفضل خمس مائة جامعة في العالم إلى أن تلك الجامعات موجودة في خمس وثلاثين دولة يتراوح عدد سكانها بين ثلاثة ملايين وثمان مائة ألف نسمة وبين اثنين وسبعين ومئتين وألف مليوناً تدرس جميعها وتجري بحوثها بلغتها القومية ولا توجد جامعة عربية واحدة ضمن هذه المجموعة من الجامعات!!!. آن لنا أن نتذكر ما قاله ابن خلدون " من أن المغلوب مولع بالغالب في كل أفعاله وطرائق حياته!؟

إذ أن اللغة والقومية^(١) أمران متلازمان ومتعادلان, إن أحداث التاريخ في القرن التاسع عشر تبين بوضوح وثوق الصلة بين اللغة والقومية وقد كان دور اللغة كبيراً وبيناً في ظهور القوميات الأوربية الحديثة^(٢).

^(١) للقومية تعريفات عدة متباينة إلى حد ما , ويرجع الباحثون عسر تعريف القومية في شكل حاسم عدم وضوح الفرق بين مصطلحي " الأمة" و"الدولة" في كثير من الأذهان والخلط بينهما في العصر الحديث. راجع بالتفصيل: د. إبراهيم أنيس, اللغة بين القومية والعالمية, ص ٣٩, وما بعدها. " الفصل الثاني - القومية". ويشير ياسر سليمان في كتابه " اللغة العربية والهوية القومية" إلى وجود طريقتين رئيسيتين لتعريف القومية: -موضوعي "objective" يركز على وجود كل أو بعض عناصر تتوافر لدي الأمم مثل: الجغرافيا. والدولة. والثقافة المشتركة, والتاريخ وفي بعض الحالات الدين.

- ذاتي "subjective" ويشار له أحياناً بالعامل التطوعي للتمييز, وهنا يوجد تركيز على الإرادة في عملية تشكيل الأمة, أي على اتجاه أفراد الأمة لرؤية أنفسهم كأمة أكثر منه توافراً أو عدم توافر عناصر موضوعية لذلك, على أنه سواء أعرفت الأمة ذاتياً أم موضوعياً فإنها ترتبط بلغة معينة تبرز هويتها. ويركز دارسو القومية ممن يتبنون أهمية اللغة على أن اللغة أهم أدوات العملية الإجتماعية وأدوات صناعة الإنسان, فاللغة هي الوساطة التي تجعل من الأمة "مجتمعاً متخيلاً وترتبط الفرد في وقت وحيز اجتماعي معين مع أبناء أمته ممن لم يرههم أو يقابلهم" راجع بالتفصيل: فلسفة القومية العربية. ماهر نسيم, المكتبة الدولية, ٩, دار المعارف بمصر. ١٩٥٩م.

-القومية العربية والاستعمار. اخترنالك ٣٢. دار المعارف بمصر ١٩٥٧م, في اللغة والأدب. د. إبراهيم بيومي مذكور, أقرأ ٣٣٧, دار المعارف, يناير ١٩٧٩م.

^(٢) إن أحداث التاريخ في القرن التاسع عشر تبين بوضوح وثوق الصلة بين اللغة والقومية فقد وحدت ألمانيا على أساس اللغة وحدها, ووحدت إيطاليا أيضاً على أساس اللغة بل استقلال بولندا قد تم أيضاً على أساس الناطقين بالبولندية أصحاب قومية واحدة. وطوال القرن التاسع عشر حيث استقلت بلجيكا. إيطاليا عن النمسا. يوصف هذا القرن فيها بأنه عصر الانقلاب السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ذلك الانقلاب الذي خلق أوربا خلقاً جديداً وأثار فيها مشاكل لم تكن من قبل ويعزى كل هذا إلى رياح القومية التي ملأت جو القارة,

هذا وتقوم كل قومية من القوميات المعروفة على خاصية أو أكثر من الخواص المعروفة ذلك أن: -القومية الإيطالية والقومية البولندية تقم على خاصية"اللغة", وقامت القومية الألمانية على خاصيتي "اللغة- والعنصر" , وقامت القومية الفرنسية على خواص " اللغة, التاريخ, الأرض". والقومية الأمريكية على خواص " اللغة, والأرض, والشعور بالغربة عن العالم القديم". راجع بالتفصيل: القومية العربية والمجتمع العربي, د. زيدان عبد الباقي, مكتبة النهضة, ١٩٧٤م. الفصل السادس, وآراء وأحاديث في القومية العربية: ساطع الحصري, ص ٤٤.

ولقد كان هردير Herder العالم اللغوي الألماني في أواخر القرن الثامن عشر أول من نبه الأذهان في كتبه إلى علاقة اللغة بنفسية الأمة وشخصيتها إذ يقول: " إن لغة الآباء والأجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين وأن قلب الشعب ينبض في لغته, وإن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد وأن من ينتزع من مثل هذا الشعب لغته, أو يقصر في احترامها يحرمه من ثروته الوحيدة التي لا تعرف البلي والتي تنتقل من الآباء إلى الأبناء وعلى مر الأجيال والعصور"^(١).

ويقول الفيلسوف فيخته "Fichte": " إن اللغة التي ترافق المرء, وتحركه حتى أعماق أغوار تفكيره وإرادته, هي التي تجعل منا نحن الألمان مجتمعاً متماسكاً يدبره عقل واحد, إن الذين يتكلمون لغة واحدة, يؤلفون من أنفسهم كتلة موحدة, ربطت الطبيعة بين أجزائها بروابط متينة, وإن كنا لا نراها, إن الحدود التي تستحق أن تسمى حدوداً طبيعية بين الشعوب هي التي ترسمها اللغات"^(٢).

إن التعليم باللغات الأجنبية جعل التغريب يسيطر على تعليمنا نظاماً وخطة ومنهجاً ولغة ومادة, متناسين أن إضاعة اللسان تعني إضاعة الذات وتسليم لها على حد تعبير د. عائشة عبدالرحمن - وأنه إذا كانت أمة مستقلة وغيرت لغتها بغيرها, ضعف فيها الاستقلال بقدر ما يضعف من لغتها^(٣), فإذا تم التغيير فقدت استقلالها ووقع فيها الخذلان.

(١) ساطع الحصري: " ما هية القومية" ص ٥٦.

(٢) د. إبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية, ص ١٠٦.

(٣) إن الحقائق التاريخية تؤيد هذه النظرية وتدعمها. فالوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية من ناحية غذتها وحدة اللغة, وإنحلال السلطة العثمانية والامبراطورية النمساوية من ناحية أخرى كان من جملة أسبابه الرئيسية اختلاف لغة الشعوب التي خضعت لكل منها.. بل أن اللغة ومنذ فجر التاريخ كانت مقياساً لتمييز أمم لأنفسها عن الآخرين فمثلاً قام اليونان بتمييز أنفسهم عن البربر باعتبار الأخيرين لا يتحدثون اليونانية وقام اليهود في الأندلس باستخدام العبرية لتسجيل أمور دينهم في حين قام الأطباء اليهود في بولندا باستخدام مصطلحات طبية عربية بدل اللاتينية التي كان يستخدمها الأطباء المسيحيون مما قد يكون نوعاً من السعي للتمييز الأثني.

إن التعليم يعتبر الأساس في إعداد المواطنة واليوقة التي ينصهر فيها التلاميذ والقادمون من طوائف وفئات مختلفة في مستوى المعيشة والثقافة النوعية ليتحولوا إلى مواطنين تربط بينهم أواصر التفاهم واللغة المشتركة والمثل العليا^(١).

ونحن حين نعلم أبناءنا بلغة غير العربية فإننا نجعلهم قابلين للاستلاب الثقافي والحضاري بل إننا نهيمهم للخروج على منهجنا ونظامنا الاجتماعي الذي جاء أصلاً لحمايتهم وتربيتهم كما إننا بذلك نكرس تهميش الثقافة الوطنية واللغة القومية.

علينا الإيمان بأنه لم يبق إلا هذه الوشيحة "اللغة" ندافع عنها- بل تدافع عنا- ولم يبق إلا هذا المركب الجامع توجه إليه أساليب الهدم من المتربصين بنا.. وهذا أخطر ما نتعرض له في الداخل لأن الأمر انتقل من كونه احتلالاً مخططاً له إلى ظاهرة طوعية تطوعية تستهدف الخاص الأسمى من قوميتنا.. فمتى نعلنها مدوية أنه ليس في حيز الزمان أو المكان ولا في القلب واللسان متسع لغير العربية^(٢).

راجع: اللغة العربية والهوية القومية. ياسر سليمان, الفصل الثالث والرابع.

^(١) لقد كنا نؤمن بأن الثقافة العربية هي أرضنا المشتركة وأن حدود وطننا الذي نعترف به وننتمي إليه هي حدود انتشار اللغة العربية, وليست على الإطلاق حدود السياسين العرب الجغرافية المصطنعة التي ورثوها عن الاستعمار وأصبحوا سدنة لها وحماة يدافعون عنها باستماتة ويذهبون في ذلك إلى حدود عادة الاستعمار إلي- أوطانهم والحاquem تبعاً وأذناً للقوة الغاشمة التي تستغلهم وتسحقهم وتستعبدهم, فبعد أن كان تطلعننا للوطن والوحدة أصبحنا نعمل في ظل قطرية متسقة سقيمة تشكل حالة اعتراضية على القومية والعمل العربي المشترك وعلى كل أشكال التضامن والتعاون وضد الاحتلال والتطلعات القومية الوجودية المشروعة.

راجع : المتفقون العرب والمستقبل العربي. د. مبرر الويسي, مجلة الوحدة, ع ١٠١-١٠٢, ص ١٧٧.

^(٢) قال الإمام الزمخشري: الله أحمد أن جعلني من علماء العربية وجبلي على الغضب للعرب والعصبية, وأبى لي أن أنفرد من صميم أنصارهم وأمتاز وأنضوى إلى لفيف الشعبوية وأنحاز.

وقال الدكتور طه حسين: إن المتفقين العرب اللذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقص الثقافة فحسب بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً.

إن اللغة العربية عامل أساسي من عوامل تحقيق الوحدة العربية، والتدريس باللغات الأخرى عامل تجزئة وتفرقة للوطن العربي، كما أن التدريس باللغة العربية يشجع على سهولة التخصص ويسهم في رفع المستوى العلمي والتقني في الأقطار العربية^(١)، إذ أنه "سيكسر الطوق الذي يحاصر به الدماغ العربي الذي لا يكتب ولا يبحث ولا يقرأ إلا باللغة الأجنبية وهي خطة يراد بها فرض الجمود على معارفنا وثقافتنا والتطلع إلى ما يأتي به الغرب"^(٢).

إن الحركة التاريخية للأمة العربية خلال الخمسين عاماً الماضية تدل على أن التعليم في الوطن العربي قد أثبتت قدرة محدودة على بناء الأمة وصياغة مستقبلها بل كانت لها تأثيرات جانبية سلبية أحياناً ولن يلبي طموح الأمة العربية في أن يعود إليها مجدها العلمي على أيدي علمائها إلا بخلق برنامج إنقاذ وطني ثقافي يهدف إلى إنعاش قطاع التعريب وتشجيع الكتاب المعرب.

^(١) لقد أثبتت الدراسات أن تعليم الإنسان بلغته الأم أقوى مردوداً وأبعد أثراً وأحفل بالنتائج الإيجابية، كما أثبت البحث اللغوي والتربوي الحديث أن الإبداع الفكري وتأسيس الفكر العلمي مرتبطان ارتباطاً عضوياً باللغة الأم ولنتأمل معا في كلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه لأبي موسى الأشعري: "خذ الناس بالعربية. فإنه يثبت العقل ويزيد المروءة" وهي كلمة تعبر عن دور اللغة وأثرها في ثقافة عقول مستخدميها ومروءتهم ومقدرتهم على التعامل والتفاعل، ومن هذه الدراسات والأبحاث:-

- * د. زهير أحمد السباعي: تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية، نادي الشرقية الأدبي. الدمام ١٩٩٥م.
- * محمود اسماعيل الصيني وسعد على الحاج بكري: قصة الترجمة العلمية دراسة في آراء أساتذة الجامعات . مجلة العربي، نوفمبر ١٩٩٢م.
- * دراسة أخرى للباحثين السابقين ولكنها استطلاع لآراء الطلبة تعريب العلوم في الجامعات دراسة في آراء الطلبة، مجلة التعريب، يونيو ١٩٩٨م.
- * د. محمد حسن عبدالعزيز. التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م.
- * د. عبدالصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة.
- (٢) د. عادل عوض: تعريب العلوم والحاسبات قضية حضارة ومصير، ص ١٣١، مجلة الوحدة. مارس، ١٩٩٣م، ع ١٠١ - ١٠٢، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط.

والتعريب بأوسع معانيه" هو سيادة العربية في المجتمع والذي لا يمكن أن يفصل عن وحدة الأمة العربية في الماضي أو في الحاضر"^(١) ' والتعريب الذي نطمح إليه هو ما عبر عنه د/ محي الدين صابر^(٢) بقوله: " إن التعريب ليس قضية لغة، بل هي قضية حضارية أساسية تواجهنا حالياً. اللغة ليست ألفاظاً بل فكراً، وبالتالي لا بد من تطوير المجتمع العربي، واستيعاب حضارة العصر وذلك لا يتم إلا عبر اللغة كوسيلة وكأداة، فاليابان مثلاً- وهو مثل تقليدي- أوجدت شخصيتها عبر لغتها الخاصة، وقد أضحت اللغة اليابانية لغة تكنولوجيا حديثة، أي لغة عمق تاريخي وتراث ضخم، من حقها أن تكون مثل اللغات الأخرى، بالنسبة للغة العربية ارتبطت كثيراً بالتراث، خاصة التراث الإسلامي، هذا العامل أغرى الغرب على محاربة اللغة العربية، والاستعمار حين أسس المدارس الحديثة حرص على إبعاد اللغة العربية وقد أقصيت عن المجالات الإدارية والتقنية وبالتالي أصبحت معرفة اللغة العربية لا تجدي نفعاً في المجتمع العربي، وهذا وضع شاذ، لقد حوربت اللغة العربية في عقر دارها، أساتذة اللغات في الغرب هم أفضل الأساتذة، ولا أود أن أتحدث عن وضع أستاذ اللغة العربية في المدارس العربية^(٣)، الغرب أراد أن

(١) د. محمد حسن عبدالعزيز: التعريب في القديم والحديث، ص ٢٧٠.

(٢) د. محي الدين صابر " المدير العام لليونسكو العربي" في حديث له لجريدة الشرق الأوسط عدد ١٩٨٢/١٢/١م، نقلًا عن د. عبدالصبور شاهين. ص ٣٣٩. الغربية لغة العلوم.

(٣) إن هناك إجماعاً على أن المعلم هو أهم عنصر في العملية التعليمية وأنه مهما تطورت الوسائل ومهما تقدمت التكنولوجيا، فلن يتم التعليم إلا بمعلم وإن للمعلم دور الرأس إلا من الملاحظ أنه لا يبذل في اختياره وفي حسن الإشراف المستمر على أدائه والتطوير المنتظم لامكاناته ما يساوي المكانة التي يتبوها من الناحية النظرية.

وتشير الدراسات إلى عزوف الشباب العربي عن مهنة التدريس وضعف انتماء المعلمين إلى المهنة على الرغم من شغلهم إياها ولن يكون هناك مساهمة فعالة من المؤسسات التعليمية في صنع أفضل للأمة العربية ما دام المعلم يعاني من أزمة انتماء وعدم رضا بهذه المهنة ولقد طرحت الكثير من التوصيات على صانعي السياسة في الاقطار العربية من شأن الأخذ بها إلى الرفع من مستوى المعلم وجذبه إلى المهنة.

راجع بالتفصيل : ظاهرة عزوف الشباب العربي عن مهنة التدريس. عدالعزيز حمد العزوز وآخرون. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس ١٩٨٣م.

يدفعنا لاحتقار الذات لأننا للأسف احتقرنا لغتنا، وكما ترى فإن قضية التعريب مرتبطة بمجموع الكبرياء القومي^(١).

إن التعريب في مفهومه الفكري والحضاري يعني تكوين شخصية عربية إبداعية تتجاوز قدراتها الذاتية نطاق المعرفة العلمية وحدها وعمليات النقل والترجمة والتقليد إلى إنتاج علم عربي وتقنية عربية أصيلة، ولا شك في أن تأصيل علوم العصر وثقافته لا يتم إلا من خلال اللغة العربية تلقياً واستيعاباً وتعلماً وبحثاً وتطويراً، ثم إنتاجاً وإبداعاً^(٢).

إن التحدي الأساسي الذي يواجه تعريب التعليم هو تطوير لغة عربية علمية مؤثرة في العملية التعليمية والعملية من حيث تيسير " التفاهم والتعليم"^(٣) بين المعلم والمتعلم ورفع مستويات التواصل والتفاعل بين أبناء الأمة وقدراتهم على الإبداع والمساهمة في الحضارة الإنسانية المعاصرة.

إن تعريب التعليم يعمل على استرداد الوظيفة الأخلاقية والتربوية للتعليم، إذ لا بد وأن يشعر كل طالب وأستاذ ومسئول أن التعريب مسئولية قومية عربية^(٤) ولا بد من إعطاء صيغة جديدة للتعليم وإخراج أجيالنا

(١) يقول الإمام عبد الحميد بن باديس " علينا أن نعرف تاريخنا ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لاثقة به في هذا الوجود ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين: اللغة العربية لغة الجنس ، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة".

" إنها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا وهي المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا الغر الميامين أرواحهم بأرواحنا وهي وحدها اللسان الذي نعتز به وهي الترجمان عما في القلب من عقائد وما في العقل من أفكار وما في النفس من آلام وآمال".

راجع: عبد الحميد باديس ومنهجه في الإصلاح، محمود قاسم. عالم الفكر. ١٩٨٨م، مج ١٩، ص ٢٤٠-١٨٥-١٨٦.

(٢) راجع: د. محمود أحمد السيد. إشكالية تعريب التعليم العالي. مجلة التعريب، ١٩٩٦م، ص ١٣-١٤.

(٣) محمد جابر الأنصاري: التعريب الجامعي وحتمية المقارنة الميدانية، ظاهرة تأجيل التطبيق: أربعة اعتبارات أساسية لحسمها. رسالة الخليج العربي، ٤٤، ١٩٨٨م. ص ١٥٥.

(٤) إن الدول العربية في مجال التعريب توزعت على تكتلات ثلاثة وهي:-

* بعض دول المغرب تعمل بنظام الإزدواجية اللغوية ومرجعيتها اللغة الفرنسية.

* دول الخليج العربي ومصر تعمل بالتعريب الجزئي ومرجعيتها الإنجليزية.

من الإزدواجية، ذلك إن الإزدواجية الثقافية واللغوية قد استوجبت منا مجموعة من التساؤلات التي تهدف إلى تحديد تأثير كل من اللغات المستخدمة داخل المجتمع، وتؤدي النتائج - كما سنرى - إلى ضرورة الاهتمام بالهوية والشخصية الثقافية وإن الحرص على إتقان اللغة الأجنبية كان ينبغي أن يطاوله ويدانيه على الأقل حرص على سلامة اللسان العربي وحسن الحديث به.

إن دعوة الحكومات العربية إلى التعريب ليست تعصباً قومياً ولا نزعاً إلى الإنغلاق وإنما هي قمة التفتح على العالم أخذاً وعتاءً، كما كان الحال أيام "بيت الحكمة" عندما كان الإبداع العربي يستوعب المعارف الأجنبية ويصوغها صياغة عربية نقلاً وتعريباً وتمثيلاً.

وفي دعوة لتصحيح الأوضاع المتداخلة لغوياً وتعليمياً يذكر د. عبدالفتاح دهيم^(١) إن الدعوة لتعريب العلوم ليس معناها مخاصمة اللغات الأخرى ولا تعني مجال أي دعوة إلى الإنعزالية والأحادية، فإن لغتنا وديننا يحملان عالمية المنهج والرسالة ولكنها دعوة إلى التوازن العلمي لحوفاً بالركب وتأسياً للسبق - إن شاء الله - لأننا نحيا وضعاً خطيراً، وغير طبيعي فيما يتعلق بهويتنا وثقافتنا بل نفتقد مبرر وجودنا في هذا العالم، لأننا لا ننهج استراتيجية واضحة ولا نتبع منظومة فيما يتعلق بأبعاد السيادة في عصر يحيا فيه غيرنا حروب الاسترداد ونحيا نحن ردة ثقافية، وعلمية وحضارية داهمة".

إن غالبية الدول غير الناطقة بالإنجليزية تدرس جميع العلوم في الجامعة باللغة القومية باستثناء الدول العربية، هذا لا يعني أنها لا تدرس لغات أجنبية بجانب اللغة القومية، ولكن اللغة القومية هي لغة التدريس، ففي أرمينيا التي لا يتجاوز سكانها (٣) ملايين نسمة لغة التدريس فيها اللغة الأرمنية حتى في

* دول لها باع في التعريب مثل: سوريا والعراق والأردن.

(١) انظر: "السبيل إلى حل قضية التعريب" فاعليات المؤتمر السنوي التاسع لتعريب العلوم، مجلة المجتمع الثقافي، ١٥٥٣ع، مايو ٢٠٠٣م.

كليات الطب والهندسة وكذلك الحال في اليونان وفي كوريا الجنوبية وفي أوكرانيا والصين وتركيا وألمانيا وإندونيسيا^(١).

إن تدريس اللغات الأجنبية شيء وجعل اللغة الإنجليزية واسطة التعليم في كل المواد شيء آخر، نحن لا ننكر أهمية تدريس اللغات وإنما الذي لا نقبله هو أن يتعلم أبنائنا جميع المواد باللغات الأجنبية فنضعف اللغة الوطنية^(٢).

ففي ظل المتغيرات والانفتاح العالمي لا يمكن الاختلاف حول أهمية تعليم اللغات الأجنبية بشرط ألا يتعارض ذلك مع الخصوصية الثقافية في إطار القيم الإنسانية العامة.

إن التعليم باللغات الأجنبية أثبت فشله في المساهمة الفاعلة في الابتكار والإبداع واختراع التقنيات وتحويل المواطن العربي إلى مستهلك لا مشارك في المنتج الحضاري المعاصر.

إن استخدام اللغات الأجنبية لغة للتدريس له تأثير فعال في تقليل الإقبال على التخصصات الجامعية العلمية، ويؤدي إلى زيادة نسبة التسرب منها وتدني مستوى خريجها، مما يؤدي إلى ضعف القوى العاملة

(١) ليس معنى رجوعنا إلى العربية أن نجهل غيرها فما زالت معرفة اللغات المختلفة هي السبيل الوحيد إلى استيعاب العلم، واستكشاف أسرارها، ولا حرج على من يعشق لغته القومية أن يتعلم إلى جوارها عدة لغات ليفيد لغته ويزودها بكل مستحدث جديد، وقد كان الأقدمون من علماء هذه الأمة أساتذة الدنيا يؤلفون ويدرسون بالعربية ما ينقلونه عن اللغات القديمة التي أجادوا معرفتها والترجمة عنها وهذه آثارهم في مكتبات العالم مخطوطة بالعربية أو مترجمة عنها إلى اللاتينية تشهد بنبوغهم العلمي والفلسفي وتقدمهم على العلماء والفلاسفة من كل لسان عرفه العالم القديم.

راجع : د. عبدالصبور شاهين، العربية لغة العلوم، ص ٩.

(٢) ولنتأمل معاً هذا القرار الصادر عن مجلس الوزراء بالمملكة العربية السعودية والذي ينص على " الموافقة على تدريس اللغة الإنجليزية في الصف السادس من المرحلة الابتدائية كمادة أساسية اعتباراً من العام الدراسي ١٤٢٥-١٤٢٦هـ، على أن يكون المدرسون من المؤهلين لتدريس اللغة الإنجليزية كما لو كانت لغتهم الأم!!! إن مثل تلك الأمور إنما هي تكريس للولاء للثقافات الأجنبية.

راجع بالتفصيل: اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم، مارس ٢٠٠٤م، بروفسير: ربما سعد الجرف.

المؤهلة, مما يؤخر عملية التنمية البشرية, في الوطن العربي وتشكل نزيفاً مستمراً لعصب التنمية المتمثل في القوى البشرية المتخصصة.

كما أثبتت الدراسات أن الطلاب الذين يدرسون باللغات الأجنبية يبذلون جهداً أكبر مما يتطلبه لو كانت باللغة العربية وإنهم يجدون صعوبة في الاستيعاب^(١).

ومن المسلمات التي أيدتها تجارب الأمم في الماضي والحاضر أن العلم لا ينتشر في مجتمع ولا يتأصل في شعب إلا بلغته القومية, إن المتعلم باللغة الأم أكثر استيعاباً لمادة التعليم من المتعلم بغيرها, والاستيعاب عون على التمثل وتمثل المعرفة هو السبيل إلى الابتكار والإبداع.

ومن الآثار المترتبة كذلك على التعليم باللغات الأجنبية قصور التأليف والبحث العلمي باللغة العربية^(٢) ولقد كان استخدام اللغة العربية في المجالات العلمية المختلفة- ولازال- موضوعاً لدراسات جادة ومؤتمرات وندوات علمية كثيرة^(٣), جميعها بلا استثناء تجمع على بعض النتائج أهمها:

(١) ففي دراسة أجريت على طلاب كلية الطب بجامعة الزقازيق اتضح من أوراق الإجابة التي باللغة الإنجليزية أن ١٠% فقط بين الطلاب استطاعوا التعبير عن أنفسهم بشكل جيد و ٦٥% سردوا المعلومات المطلوبة ولكنهم لم يحسنوا التعبير و ٢٥% لم يفهموا المعلومات. زهير أحمد السباعي: تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية.

(٢) وذلك نتيجة ترسيخ فكرة أن اللغة العربية تصلح للعلوم الدينية والتخصصات الأدبية فهي- على حد زعمهم- لغة شعر وعواطف, أما اللغات الأجنبية- الإنجليزية مثلاً- فهي لغة العلوم ولغة التواصل في الكمبيوتر ولغات البرمجة والطب والصيدلة والهندسة ومن المستحيل تدريس تقنية المعلومات باللغة العربية. ولا يخفى على أحد أن ذلك من تأثيرات محاولات التغريب للتعليم العربي وما ترتب عليه من نتائج خطيرة وآثار وخيمة على الانتماء متناسين- على حد تعبير د. عائشة عبدالرحمن- إن عقدة الأزمة ليست في اللغة ذاتها, العقدة هي أن أبناءنا لا يتعلمون العربية لسان أمة ولغة حياة.

(٣) من أمثلة هذه المؤتمرات والندوات:-

-المؤتمر الأول للتغريب" الرباط ١٩٦٩م" الذي ناقش منهجية التغريب وتوحيد المصطلح العربي.
- المؤتمر الثاني للتغريب" الجزائر ١٩٧٣م" توحيد المصطلح العربي في الكيمياء والجولوجيا والرياضيات والفيزياء في مستوى التعليم العام.

- مؤتمر التغريب الثالث"طرابلس. ليبيا ١٩٧٧م" ناقش مشروعات المعاجم في التعليم العام والجامعي.

- مؤتمر التغريب الرابع" طنجة. المغرب ١٩٨١م" إقرار مشروع توحيد معاجم المصطلحات المهنية والتقنية.

-ثراء اللغة العربية وقدرتها باعتبارها وسيلة تعليم.

- الاجماع على أن استخدام اللغات الأجنبية يعتبر عائفاً عنيداً أمام الطلاب كما أنه السبب الرئيسى في صرف أكثر المنصرفين عن الدراسة العلمية المتخصصة.

-ضرورة تدريس لغة أو لغتين أجنبيتين^(١).

- ضرورة أن تحل مشكلة التعريب من خلال جهد متعاون بين جميع الدول العربية حتى يمكن استخدام العربية في كافة المجالات العمليةوالعلمية.

إن الاستمرار في التعليم باللغات هو بلا شك خطأ تربوي وهدر اقتصادي, ذلك أن التدريس باللغات الأجنبية قد أحدث انشفاقاً اجتماعياً بين الطلاب, فقد ارتبط التعليم باللغات الأجنبية بقدر كبير من التمايز الاجتماعي, ولا يخفي الأثر النفسي التدميري على ممن لم يتعلموا باللغات الأجنبية من قلة فرصهم العملية في الوظائف المتميزة مما أدى إلى اتساع النظرة الدونية للغة العربية والشعور تجاهها بالعجز في مقابل نظرة الإجلال والانبهار باللغات الأجنبية.

وهكذا يقف التعليم باللغات الأجنبية حائلاً دون قيام المؤسسات التعليمية من أداء وظيفتها العلمية والاجتماعية بالشكل الأمثل.

- المؤتمر الخامس "الأردن ١٩٨٥م" تنسيق وتوحيد وإكساب صفة القومية لمشروعات المعاجم.

- مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي"بغداد ١٩٧٨م".

- ندوة التعريب وقضايا اللغة العربية في التعليم الجامعي بالخرطوم"١٩٧٩م".

- المؤتمر الإقليمي لتعريب التعليم فى العالم العربي"القاهرة ١٩٩٠م".

(١) مع التأكيد أن يتم تدريس هذه اللغات الأجنبية بعيداً عن سنوات الدراسة الأولى بل في السنوات المتأخرة إذ أن تعلم لغة أجنبية في غير موطنها يعتبر طويلاً وشاقاً، ولا بد من الاستفادة من طرق تعلم اللغات الأجنبية المتعددة مثل: الطريقة المباشرة، الطريقة التنشيطية والطرق السمعية والبصرية والإقامة في الخارج تعتبر وسائل تساعد في ذات الوقت على تعلم اللغة.

بل أن د. أحمد عوض^(١) يرى أن تخلف لغات العالم الثالث هو مؤشر وجزء من التخلف الاقتصادي لهذه البلاد, لأن ليس لديها القدرة على رفع درجة وحدتها الوطنية والقومية إذ أن الاندفاع إلى الاستقلال اقترن دائماً بالرغبة في وجود عملة ولغة وطنيين.

وينبه لذلك على أنه علينا أن نفكر في الوقت والجهد اللذين بذلهما شبابنا في تعلم اللغة الإنجليزية كما لو كانت لغة أم لنا وأن نحسب بعملية حسابية بسيطة عدد السنوات ومقدار الجهد الثمين الذين يضيعان على الأمة.

إن الاقتصاد القوي يعمل على ترقية اللغة, بامتلاك العقل المدبر, إن الاقتصاد لب الحياة وعمادها وأن يكون لك الكفاية المعيشية والعلمية والتكنولوجية.

وهكذا يصبح التعريب ذا بعد اجتماعي اقتصادي لأن الكوادر العلمية المعربة أكثر قدرة على التعبير عن تطلعات المجتمع لأنها أكثر دراية بالبيئة الاجتماعية وبالتالي أكثر فعالية في تنفيذ عمليات التنمية, كما أن التعريب الجامعي العلمي يساهم في توطين المعرفة العلمية النافعة للتنمية الشاملة^(٢).

إن تعريب التعليم الجامعي إنما تتفرع عنه مشكلتان لا بد من التصدي لها:

(١) اللغة والاقتصاد. تأليف فلوريان كولماس. ترجمة أحمد عوض, مراجعة: عبدالسلام رضوان. عالم المعرفة, ع١٦٣, ص٦٦. ٢٠٠٠م, كما يؤكد د. أحمد على, أن التوازن بين التنمية الاقتصادية والتنمية اللغوية أمر منذر.. وإن صياغة سياسية لغوية رشيدة في دولة متعددة اللغة هي في ذاتها مسألة اقتصادية ويجب أن تكون لها أسبقية عظيمة مثلها مثل المسائل الاقتصادية الأخرى.

(٢) راجع بالتفصيل: جهود التعريب وتطوير التعليم في المملكة بين الواقع والمأمول حالة كليات العلوم التطبيقية والهندسية والطبية بجامعة أم القرى". مجلة جامعة الملك سعود. م١٥. كلية الآداب, ص٦٥-١٠٩. "١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م", من حيث استطلاع الآراء في الدراسة حول التعريب وأبعاده التربوية والثقافية والتنمية.

*مشكلة الترجمة العلمية^(١).

*مشكلة المعجمة اللغوية^(٢).

إذ أن الترجمة والتعريب متلازمان وكلاهما يتطلب نمو اللغة بشكل متطور لتواكب ركب الحضارة، والترجمة رافد أساسي من روافد التعريب ويبين تاريخ الأمة العربية - قديمه وحديثه أن الترجمة سبقت

(١) ومما يسترعي الانتباه هو اعتقاد العرب القدامى أن الترجمة في مفهومها الأصح والأعمق هي إعادة إبداع النص، على الخصوص إذا كان الأصل ينتمي إلي حضارة يختلف بيانها جذرياً عن البيان العربي. الترجمة لديهم عبارة ونص أو "كل" قبل أن تكون مفردات، وكانوا يقومون بإغناء تفاصيل النص المعد للترجمة من خلال معارفهم الخاصة، واتفق كل المؤرخين على القول أن المترجمين قد أجزوا العطاء وأن أموالاً طائلة خصصت للترجمة.

وقد ذكرت المصادر أن النصوص التي ترجمت قديماً قد خضعت إلى عملية تأويل، قبل الترجمة من قبل المترجمين الذين كانوا في معظمهم المختصين في المجال الذي يترجمون فيه، لقد كانت معرفة الموضوع الشرط الحاسم في عملية الترجمة فمثلاً كان "حنين" طبيباً مشهوراً فكانت ترجمته للنصوص الطبية والعكس لم يكن حنين ضليعاً في الرياضيات كما يروي الصفدي أحد مؤلفي القرن الحادي عشر أن ترجمات حنين لم تتطلب مراجعة إلا في مجال الرياضيات وأن كتاب "إقليدس" قد صحح من قبل "ثابت بن قرة" وثابت كان مشهوراً باعتباره مترجماً ورياضياً فلكياً.

راجع بالتفصيل: "الترجمة في العصر العباسي - مدرسة حنين بن اسحاق وأهميتها في الترجمة"، مريم سلامة. ترجمة د. نجيب غزاوي. منشورات وزارة الثقافة، سوريا. دمشق ١٩٩٨م.

- والأهم والأخطر شأناً هو أن أغلب النصوص المترجمة ترجمت بناءً على طلب الخلفاء وبالدرجة الأولى الخليفة المأمون وأنهم كانوا يتصلون إذا لزم الأمر بأباطرة بيزنطة رغم العداء المستحکم بين الفريقين ليزودهم بالنصوص اليونانية التي تعوزهم، مما يدل على أن مستواهم الثقافي كان شمولياً كمستواهم السياسي، وهذا ما مكنهم من أن يشيدوا حضارة عالمية ما تزال حتى اليوم تمد العالم بنتائجها العلمي والفكري " وفي هذا عبرة لمن يعتبر إذا كان بعد ثمة من يعتبر". السابق، ص الغلاف.

(٢) في المعاجم العلمية المتخصصة لا بد ألا يتعدد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي بل يكون لفظاً واحداً للمدلول الواحد في المجال الواحد على نحو ما قرر مجمع اللغة الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط. ولا بد من تجسيد المعارف العلمية في الوطن العربي، فنجد ترجمات تعتمد في أغلبها على الإنجليزية وهي عربية المشرق وأخرى تعتمد على الفرنسية وهي عربية المغرب ولنا نحن أهل التخصص في علم اللغة نموذجاً لهذا التخبط فانظر كيف هو الحال في العلوم والتكنولوجيا.

ورافقت نهضتها العلمية والحضارية وأن الترجمة مظهر هام من مظاهر النهضة^(١) والتكوين الثقافي المستقل والمتفتح معاً، ويؤدي هذا إلى استنتاج حقائق ثلاثة^(٢):

الأولي: صحة الواقعة التاريخية التي أثبتت أن الدخول الفاعل والمتفاعل في تجربة نهضة عربية، لا يتوقف على الترجمة وحدها بل يعتمد بالدرجة الأولى على كون أهل اللغة العربية أنفسهم من المشاركين علمياً في صناعة الحضارة.

الثانية: نجاعة المقولة السوسولوجية القائلة بأنه يكاد يكون من المتعذر استيعاب المعارف العلمية أو أدبية استيعاباً حقيقياً تكوينياً ما لم تكن اللغة القومية المعبرة عن روح الأمة هي الأداة الموصلة لمضمون هذه المعارف إلى عقله ووجدانه.

الثالثة: وجاهة التصور الأنثروبولوجي الذي يري أن الترجمة لابد أن تعني بالإطلاق من احتياجات مجتمعنا العربي ووعيه بأن مشروع ثقافته رهن بمادة التقويم المستمر والاستيعاب الواعي الحر لإبداعات الثقافات الأخرى.

ولا بد أن يصاحب ذلك تطبيق وتجسيد الخطط القومية في شأن التعريب والترجمة من مثال: الخطط القومية التي تعدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم^(٣).

(١) ومن العجب أن نري فريقاً يقف من الترجمة موقفاً مضاداً ويعدها عجزاً عن التأليف وإفلاساً في الإبداع. راجع بالتفصيل: فؤاد عبدالمطلب " الترجمة والبحث العلمي" مجلة التعريب، ١٩٩٨م، يونيو، ص ٣٨-٥٥.

(٢) محمد حافظ دياب " الترجمة وأسئلة النهضة العربية" مجلة الوحدة. المجلس القومي للثقافة العربية، ع ٦١-٦٢، ١٩٨٧م، ص ٤٢ وما بعدها. المغرب.

(٣) وقد تمثلت تلك الخطط في الآتي:

-إغناء الفكر العربي، وإخصابه بروائع التراث العلمي.

- إرساء نهضة علمية بنقل العلوم المختلفة والتكنولوجيا الحديثة.

- نقل الدراسات العميقة في شتي فروع المعرفة لتعزيز البحث العلمي.

- تعريب التعليم بشتى مراحل وأنواعه في جميع البلدان العربية.

- تعريف العالم بنتاج الفكر العربي قديمه وحديثه.

وعلى الجامعات العربية أن تجعل من سباق التعريب وتوحيد المصطلحات^(١) وضعا قائما مستمرا حتى يأخذ العرب مكانهم اللائق بهم بين الأمم المتحضرة من خلال قيامها بوظائف التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع بتعزيز الثقافة العربية ونشرها، والمحافظة على التراث العربي والإسلامي ونقله من جيل إلى آخر بالإضافة إلى تعريف العالم الخارجي به.

" إن دور الجامعات ومؤسسات التعليم مهم في تكوين الإنسان العربي المؤمن بحضارته وتراثه ومبادئه الأصلية عن طريق إبراز الذاتية العربية التي هي الركيزة الأساسية في قيام الوحدة العربية فإنه لا بد لها أن تعيد النظر في محتوى مناهجها وموادها الدراسية بحيث يتم تعزيز هذا الدور"^(٢).

إن الجامعات ومؤسسات علمية تربوية يجب أن تسهم بفاعلية في عملية توحيد المصطلح في الوطن العربي من خلال الاستعمال^(١) الإلزامي للمصطلح وإشاعته بين المنتفعين به وتوسيع رقعته الجغرافية على مدي اتساع الوطن العربي ذلك أن أي مصطلح لا يحيا إلا باستخدامه في التدريس.

إن هذا التجسيد والتطبيق يكفينا مثال التضارب والارتجالية التي كثيراً ما نشكو منها ونلمسها في عمليات الترجمة والتعريب التي تتم في مؤسساتنا التعليمية والعلمية. راجع بالتفصيل: الخطة القومية للترجمة. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس ١٩٨٥.

(١) قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإحصاء وحصر المفردات الواردة في الكتب المدرسية وكراسات الإلماء للسنوات الأربعة الأولى من التعليم الابتدائي في إثني عشر قطراً هي:-

الأردن. البحرين. تونس. الجزائر. السعودية. ليبيا. مصر، اليمن. الكويت. سوريا. السودان. قطر. وقد تبين من خلال الدراسة أن ثمة ٣٨.٩١١ كلمة فقط من بين ٥٣٤.٦٨٢ كلمة هي الكلمات المدرسية لا تتخطى حدود السبعة والنصف بالمائة ٧.٥% وتقتصر الألسكو لمواجهة هذا الاختلال الخطير إنشاء بنك مركزي للمصطلحات في الوطن العربي يهدف إلى تكوين رصيد لغوي موحد يحل مشكلة الحشو في الكتب المدرسية والجامعية من جهة ويسهم في القضاء على فوضى التخاطب عند الشباب العربي من جهة ثانية.

مجلة الوطن العربي. ص ٩، ٤٢١٤، مارس ١٩٨٥ م.

www.ituarabie.org/E-Education/Doc1-ALECSO.doe

(٢) عبدالله بوبطانة: دور التعليم العالي والجامعي في التنمية العربية. مجلة المركز العربي لبحوث التعليم العالي. ٢٠٠٤، ص ٥٠، ١٩٨٤ م.

إن الاهتمام بتعريب المصطلح كون المصطلح بذرة حياة للغة وعنصر استمرار لها في عصر متراكم متسارع للمعرفة ومشكلة الوطن العربي في المصطلح ليست مشكلة تعريب فحسب بل وتوحيد أيضاً، فالمصطلح الأجنبي الواحد يترجم إلى العربية بكلمات مختلفة ومن هنا نشأت الحاجة لتوحيد المصطلح العربي لتنشأ لغة عربية علمية^(١) موحدة وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية لسببين:

الأول: قومي وهو تأكيد الوحدة اللغوية والفكرية.

الثاني: حضاري لتتمكن اللغة العربية من اقتحام السباق التكنولوجي المعاصر من خلال تدريس العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية في مختلف المجالات.

إن أقطار الوطن العربي تواجه اليوم مشكلة خطيرة وهي ضبط سياسة لغوية ناجعة تساعدها على تحقيق أهدافها من التطور الشامل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وتمكنها من توطيد كيانها العربي الإسلامي، نحن - هنا - لا ننكر بعض المحاولات الجادة التي حدثت في بعض الأقطار العربية^(٢) لكنها تظل محاولات منعزلة واليوم لا بد وأن نسعي إلى اتخاذ سياسة لغوية مشتركة نخطط مراحلها ونحدد أهدافها ووسائلها ليتحقق بذلك تعميم استعمال العربية في مختلف ميادين الحياة.

فلا بد من وضع سياسة لغوية تدعمها قرارات رسمية من أجل تطوير اللغة من منطلق حضاري إنساني، ولكي نثبت وجودنا على ساحة الحضارة يجب أن نبدع لا أن نقلد.

(١) لدراسة قضايا أساسية في المصطلح راجع: الباب الثاني: مسيرة المصطلح العلمي في تاريخ العربية، ص ١١٠ وما بعدها د. عبدالصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام ط٢، ١٩٨٦م.

(٢) راجع: نماذج تعريفات اللغة العلمية، عند ابن سينا وغيره في العربية لغة العلوم، دار الاعتصام.

(٣) مثل تأسيس نواة مجمع اللغة العربية بدمشق أوائل عام ١٩١٩م، بدأت سورية تدريس العلوم الطبية باللغة العربية اعتباراً من العام نفسه.

-محاولات التعريب بدول المغرب العربي(تونس - الجزائر - المغرب).

- اتخاذ قرار سيادي خاص باتخاذ اللغة العربية لغة للتدريس بالجامعة السودانية مطلع عام ١٩٩١م على طريق تحقيق الغاية الوظيفية والعلمية بالانتماء إلى عالم العروبة والإسلام.

وقد كان من أهم معوقات تعميم التعريب هو:

* المنظور الرسمي للتعريب^(١).

* نقص المؤسسات الفاعلة في ميدان العمل على تطوير اللغة العربية^(٢).

إن القرارات في الوطن العربي والتراجع عنها يمثل قضية وكذا مسألة المتابعة الجدية لما تسفر عنه

المؤتمرات من قرارات وتوصيات.

فلا بد من استراتيجية سياسية لغوية عملية وعلمية تنقل اللغة العربية من وظيفتها الاجتماعية إلى

وظيفتها العلمية.

ولابد أن تشمل السياسات اللغوية التخطيط اللغوي الذي يضم:

* تخطيط وضع اللغة^(٣).

* تخطيط مادة اللغة^(٤).

إن منظومة السياسة التربوية لدينا تحتاج إلى تفعيل علمي ينقل المتلقي من طور الاستهلاك إلى طور

الإنتاج والإبداع لتنتهي مرحلة النقل والتقليد، إن بين العلم والعمل لدينا هوة سحيقة علينا أن نبني لغتنا بنية

(١) إن الحكومات العربية للأسف تبنت خطابين مختلفين تجاه اللغة العربية خطاباً رسمياً دستورياً يقر بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية بينما الخطاب الفعلي الواقعي يهمل هذه اللغة وعمم التعليم باللغة الأجنبية ويفتح فرص العمل والتفوق لمن يتلقونها ويسد هذه الأبواب أمام من لم يتلقونها.

(٢) ولنا نتحسر على أن الدول العربية مجتمعة لا تملك من المؤسسات العلمية ما تملكه إسرائيل من مراكز البحث للإرتقاء باللغة عبرية، أضف إلى تلك عدم تفعيل المؤسسات الموجودة، أما إذا تحدثنا عن الموازنات للبحث العلمي فهي في العالم العربي لا تتجاوز ٠.٢% من الدخل القومي. مقابل ٢٢% في اليابان أي أكثر من ١٠ أضعاف.

(٣) تخطيط وضع اللغة يقصد به ضم جميع القرارات السياسية المتعلقة بوضع اللغة الرسمي وإجراءات الدعم لتنفيذ القرارات السياسية اللغوية.

(٤) أما تخطيط مادة اللغة فيشمل جميع الأنشطة التي تهدف إلى إصلاح اللغة وتطويرها لتكون أداة فاعلة في التعليم العام والتقني والبحث العلمي وفي إنتاج المعرفة بصفة عامة ولابد أن يصاحب هاتين العمليتين تقويم دائم للنتائج في ضوء احتياجات المجتمع اللغوي.

علمية، وأن يمضي تطورها مع تطور العلم بتوافر شروط النموذج اللغوي المرتبط بخصائص نظام اللغة ووظائفها وتمييزها وتقييمها عبر أبعاد ثلاث:

١- البعد الكتابي^(١).

٢- التوحيد " إذ أن وحدة اللغة تحقق تثبيناً وعميقاً وتنسيقاً للأهداف التربوية والوطنية والقومية والعقائدية لدي أبناء الأمة الواحدة".

٣- تنمية إمكان الترجمة المتبادلة^(٢).

إن أزمنا اللغوية ما تعقدت إلا بما رسخ في فكرنا الحديث من دعاوي حملت على محمل الحقائق العلمية وأقحمت على وجودنا اللغوي والقومي فسايرناها، فما لبثت أن رسخت وأخذت صورة البدييات أو الحقائق العلمية. متناسين أن أزمة الوعي بالذات هي في حقيقتها أزمة إنتماء (إذ كيف ينتمي الإنسان لذات لا يعي هويتها، فالوعي بالذات هو في حقيقته وعي بالتاريخ، ذلك الوعي الذي يزودنا بالخبرة التي تمكننا من اكتشاف قوتنا وإيجابياتنا، ضعفنا وسلبياتنا).

إن الأمة إذا استلهمت في نموها الذات الثقافية العربية، وتجسدت قيمتها الأصلية، ووعت احتياجاتها وآمالها بدلاً من الانبهار بالنموذج الغربي مع عزم أكيد على التحول من صناعة الكلام إلى بناء الإنسان تصبح قادرة آنذاك على صياغة المستقبل.

^(١) فمن الضروري الاستفادة من خبرة جميع الدول الأجنبية التي سبقتنا في هذا المجال كاليابانيين ووسائلهم في التعامل مع أشكال الحروف المعقدة، وكذلك التجربة البولندية في معالجة الكلام ألياً. والتجربة الفرنسية في مجال الترجمة الآلية.

^(٢) ينبغي أن تنشط حركة الترجمة إلى لساننا بحيث تغطي كل قنواتنا الفكرية والأدبية والعلمية مما يؤكد على أهمية اللسان العربي وهو أمر مطرد لكل اللغات التي تعتر بنفسها ويعتز بها أهلها وقد آن الأوان أن نقدر عقولنا حق قدرها وأن نحترم ذواتنا.

ولمن أراد أن يتبين إلى أي مدى كان العلم والطب الإسلاميان عنصرين من عناصر التراث الذي خلفه المسلمون في العصور الوسطى للغرب إذ لا يكاد يوجد شئ من جهود المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر. راجع تفاصيل تلك الترجمات في: تراث الإسلام. الجزء الثاني، تصنيف: شاخت وبوزثرث. ترجمة د. حسين مؤنس، إحسان صدقي، مراجعة: د. فؤاد زكريا. عالم المعرفة، المجلس الوطني، الكويت.

إن التعريب هو تحرير للسان وتثبيت للهوية القومية لأنه إذا تحققت لنا وحدة لغوية حقيقية كتلك التي ألفت بين الألمان وبعثت فيهم القومية الألمانية أو كالتالي وحدت إيطاليا وخلقت فيهم القومية الإيطالية أو التي جعلت من اليابان مركزاً حضارياً، إذا تحقق لنا هذا فقد تحقق كل شيء. ولن يكون ذلك إلا عن طريق اللغة ووحدها نطقاً وأداءً بين البلاد العربية.

وختاماً فإن الرهان كما يرى أ/ محمد السويسي سيبقى بالنسبة إلينا رهاناً على الأذهان نفسها وعلى خلق قدرات التصور والإبداع، وعلى إيصال المعارف إيصلاً مستمراً متجدداً وعلى السيطرة على التكنولوجيا، وعلى أسس التجديد، ولن تقاس هذه القدرات بعدد الصفحات المنشورة بالإنجليزية أو بعدد الدروس الملقاة بالفرنسية^(١) وإنما علينا إخلاء المجال للعربية الفصحى لغة ثقافة وتعليم ولسان مشترك للأمة العربية على تتابع الأجيال وتعدد الأقطار ذلك أن سيادة اللغة على الساحة الوطنية العربية وشمولية استعمالها يدعم الوجود العربي ووحدة المشاعر العربية، وحدة التاريخ، الواقع والمصير، والخروج من بوتقة الجمود والتخلف إلى تدوير هويات الشعوب الثقافية والاجتماعية والعقائدية والقومية. لقد أريق مداد كثير حول أهمية أن نكتب باللغة التي نفكر بها وأن تكون هذه اللغة هي أداة للتعرف على جوهر الأشياء.

إن الوحدة إطار محترم للوجود العربي مهما كانت القوى الفاعلة في العالم ولا نجد أحسن إطار لها إلا الانصهار ضمن أمة واحدة بلسان واحد بتمركزات قومية واحدة.

*النتائج والتوصيات:

١- وضع مشروع ثقافي قومي يهدف على حماية هويتنا القومية ويشمل: تعريب التعليم، تشجيع حركة الترجمة، دعم المؤسسات العلمية.

(١) وقائع ندوة إسهامات التونسيين في إثراء المعجم العربي، جمعية المعجمية العربية بتونس، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٨٥، ص ٧٤، بحث "نظرات حول التجربة التونسية في التعريب".

٢- ضرورة مقاومة دول الوطن العربي للضغوط الغربية لاتباع سياسات تعليمية غير نابعة من المصلحة القومية^(١).

٣- ضرورة استبعاد دور اللغات الأجنبية كوسيلة للارتقاء الاجتماعي أو كمؤشر للتمييز بين طبقة اجتماعية وأخرى.

٤- لكل لغة تراثها وتراث اللغة العربية هو القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر وما أوجبنا إلى العناية بكل ذلك عندما نتصدي للاستشهاد وبذلك نكون قد احترمنا عقيدتنا وتراثنا وأهم مقوم من مقومات اللسان.

٥- إحلال العربية المحل الذي اغتصب منها في ميدان التدريس وفي كافة النشاطات الثقافية والإعلامية.

٦- توصي الدراسة بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الوحيدة في ميدان التعليم في جميع مراحل العام منها والجامعي.

٧- إن التعريب هو سبيلنا إلى الانتقال من التبعية والتخلف إلى الإبداع والأصالة.

٨- إننا مدعوون إلى أن نثري لغتنا العربية ونطورها باستثمار مكتسبات العلوم والتقنيات الحديثة وبالاستعانة على استقبال الجديد بخصائص اللغة كالاشتقاق والنحت والتعريب^(٢), ذلك أن اللغة العربية

دوراً أساسياً في بناء الشخصية الوطنية والقومية ودعمها والاعتزاز بها.

(١) لقد وصف د. محمد سكران ما يحدث في المدارس الأمريكية التي يتعلم فيها أبناؤنا المصريون على أرض مصر بأنه جريمة ثقافية ترتكب في حق أبناءنا الطلاب لتكريس تبعيتهم للثقافة الأمريكية ويتساءل هل يعتقد القائلون على هذه المدارس أنهم بذلك يشاركون الدولة في حمل أعباء التعليم وبناء الإنسان المصري القادر على التعامل مع معطيات العصر. بينما الواقع يؤكد أنهم أداة لتكريس التبعية للغير ثم يختتم د. محمد سكران صيحته بضرورة فحص ملف هذه المدارس وإخضاعها لإشراف الدولة ومتابعة عملها من الداخل والعمل على أدائها وسلوكياتها بمعايير وأهداف التعليم المصري المستمد أساساً من المصالح العليا للوطن. الأهرام التعليمي، ع٩٧، أكتوبر ٢٠٠٥، ص٥.

(٢) لقد كان واضحاً أمام المفكرين والأدباء واللغويين والعلماء منذ بداية عصر النهضة إلى اليوم أن اللغة العربية ينبغي أن تواجه مطالب العصر الحديث بما جد فيه من مستحدثات وعلوم وأفكار ومذاهب وفنون، بيد أنهم اختلفوا في الطريق الذي يتخذونه إلى تحقيق هذه المطالب، كان أمامهم أن يشفقوا أو ينحتوا أو يرتجلوا وسرعان ما تنبهوا إلى أن هذه الطرق لا

٩- أن التدريس بلغة أجنبية قضية تختلف أيما اختلاف عن تعليم اللغات الأجنبية كلغة أجنبية فالأول تكريس للتبعية والتغريب والثاني اكتساب لغة وانفتاح جاد على اللغات والثقافات وهو ركيزة أساسية لأي قصور قد ينشأ في عملية الترجمة من أو إلى اللغة القومية.

١٠- لا بد من إحياء الرأي العلمي الذي يطرح وحدة الكتاب الجامعي العربي والذي يرتبط ارتباطاً عضوياً بقضيتين أساسيتين:

أولهما : وحدة اللغة العلمية بمصطلحاتها ورموزها.

ثانيهما : تعريب العلم بصورة كلية^(١).

١١- ضرورة المناداة بتوحيد المؤسسات اللغوية العربية^(٢).

١٢- ضرورة اتصال القنوات العلمية بالدول العربية ووحدات البحث العلمي لديها لأن النهوض بالوطن العربي كل لا يتجزأ.

١٣- للغة موقع خاص في مجتمع المعرفة^(١) وهي ضرورة لازمة لبناء مهارات التواصل الإنساني واللغة العربية ذات وضعية خاصة لارتباطها بالهوية أولاً وبالعقيدة ثانياً.

تتعارض بل تتوازي وإن كان بعضها أولي من بعض وكان هذا هو التحدي الحقيقي ومن ثم دار البحث اللغوي الحديث في هذه الدوائر: الاشتقاق. التعريب. النحت. الارتجال.

د. محمد حسن عبدالعزيز، النحت في اللغة العربية، ص ٣، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م.

(١) د. عادل عوض: تعريب العلوم والحاسبات قضية حضارة ومصير. مجلة الوحدة، ع ١٠١-١٠٢، ص ١٣٩ وما بعدها.

راجع بالتفصيل: مجلة اتحاد الجامعات العربية، ع ١٨-١٩-٢٠-٢١.

(٢) على الرغم من أن د. عبدالصبور شاهين يرى أن هذه الفكرة ضرباً في التخيل وإيغال في أضغاث الأحلام!! مع أن طرح فكرة اتحاد المؤسسات اللغوية العربية في "دولة لغوية واحدة" لا شأن له بالسياسة وهو أبعد الأفكار عن هموم السياسيين من حيث هو ألسق المشروعات بالمستقبل الحضاري المنظور وغير المنظور لهذا العالم العربي. انظر العربية لغة العلوم، ص ١٦.

١٤- من الثابت أنه من غير لسان قومي لا توجد أية خاصية من خصائص القومية، وأن الأرض التي

ينبت فيها العلم وتطبيقاته العلمية إنما هي اللغة وبينها وبين التقدم العلمي علاقة عضوية وثيقة.

١٥- ضرورة إعادة النظر في آليات النهوض بقضية التعليم وجعلها على رأس مشروعاتنا القومية باعتبار

أن العلاقة بين اللغة والفكر والهوية والوجود غير قابلة للانفصام.

١٦- وضع مخطط واقعي لتعريب التعليم حتى يتكون لدينا هيئات تدريس قادرة على تدريس مختلف

الاختصاصات باللسان العربي.

١٧- ضرورة استنفار عقول المسؤولين في الأمة إلى النظر في جعل الهدف الأسمى في التعليم هو تأكيد

الهوية القومية العربية وتجديدها.

وفي النهاية نردد مع المهاتما غاندي صرخته الشهيرة:

{ لا أريد لبيتي أن تحيط به الأسوار من كل جانب إلى أن تسد نوافذه وإنما أريد بيتاً تهب عليه بحرية

تقافات الدنيا بأسرها ولكن دون أن تقتلني إحداها من الأرض} ...

(١) إن معرفة الأشياء أصبحت الآن تمر عبر معرفة اللغة نعم إننا قد نعرف الأشياء وقد نعرف أننا نعبر عن معرفتنا تلك بأداة التعبير المثلى وآلة الإفصاح الكبرى التي هي اللغة ولكننا لا نعرف أن اكتشاف أسرار اللغة الذى يكشف لنا الأشياء في الوجود: كل الأشياء وكل الوجود.

د. عبدالسلام المسدي، ص ٩، مباحث تأسيسية للمثلى فى اللسانيات، تونس، ١٩٩٧م.

المصادر والمراجع:

١. أسس علم اللغة , ماريوباي, ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر
٢. كريم زكي حسام الدين, أصول تراثية في علم اللغة, ط٢, مكتبة الأنجلو, ١٩٨٥م
٣. د/ ميشال زكريا, الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون دراسة ألسنية, ط١, المؤسسة الجامعية, بيروت ١٩٨٣م
٤. نظرية تشومسكى اللغوية. تأليف : جون لوينز, ترجمة وتعليق د/ حلمى خليل , ط١, ١٩٨٥م, دار المعرفة الجامعية
٥. علم اللغة د/ على عبد الواحد وافي., ومقدمة في علم اللغة, د/ البدر اوى زهران, دار المعارف.
٦. التعريف بعلم اللغة, دافيد كرسنال, ترجمة د/ حلمى خليل, ط١, ١٩٧٩م
٧. قاموس اللسانيات, د/ عبدالسلام المسدى, ص٧٢, الدار العربية للكتاب, ١٩٨٤م
٨. د/ فاضل مصطفى الساقى, أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة, مكتبة الخانجي
٩. جون جوزيف: اللغة والهوية, ترجمة : عبدالنور الخزامى, عالم المعرفة, أغسطس ٢٠٠٧م..
١٠. أبو البقاء الكفوى, الكليات, تحقيق: عدنان درويش, محمد المصري, مؤسسة الرسالة. ١٩٩٥م, الموسوعة الفلسفية العربية, ج ١
١١. معهد إنماء العربي, بيروت ١٩٩٥م؛ مخاطر العولمة على الهوية الثقافية.. نهضة مصر. ١٩٩٩م.
١٢. محمد عابد الجابري, الخطاب العربي المعاصر.. دار الطليعة. ١٩٨٥م.
١٣. محمود إبراهيم, تعريب التعليم العالي.. دار آفاق للنشر, عمان ١٩٩٤م.
١٤. منتدى الفكر العربي- المخطط العام لمشروع مستقبل التعليم فى الوطن العربي. البحرين- أكتوبر ١٩٨٧م
١٥. مجلة التربية الجديدة , مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في البلاد العربية , أغسطس. ١٩٨٧م.
١٦. سمات العلم والتعليم في الحضارة العربية الإسلامية د/ عبد الكريم اللياقي, مجلة التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب, ع ٣٣ دمشق. أكتوبر ١٩٨٨م
١٧. نحو اتجاهات حديثة في سياسة التعليم العام وبرامجه ومناهجه. عالم الفكر. مج ١٩, ع. ١٩٨٨م. وزارة الاعلام بالكويت
١٨. عبدالكريم خليفة: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث, مجمع اللغة العربية الأردني, ١٩٨٧م.
١٩. شحاته الخوري: تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي. دار الراند العربي, بيروت ١٩٨٧م.
٢٠. <http://www.ucatap.htmlplanet.com/arabization-i/accessories/DIR-20.htm>
٢١. صبحي الصالح: تقويم تجربة التعريب في المشرق العربي, المستقبل العربي ١٩٨٢م, ع ٣٩.
٢٢. د. صادق الهلالي: تعليم الطب بالعربية, شنون عربية. ع ١٩٨٦, ٤٧م.

٢٣. د. أحمد شحلان: جهود مكتب تنسيق التعريب, في قضايا اللغة العربية والتعريب خلال ثلاثين سنة. مجلة اللسان العربي, ١٩٩٣م.
٢٤. -محمود إبراهيم: تعريب التعليم العالمي. دار آفاق النشر. عمان ١٩٩٤م.
٢٥. تعلم العلوم الصحية والفنية باللغة العربية. منظمة الصحة العالمية. القاهرة ١٩٩١م
٢٦. أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية. د. زغلول راغب النجار, سلسلة رسائل إسلامية. المعرفة ١٩٩٠م.
٢٧. د. تمام حسان: مقالات في اللغة والأدب. معهد اللغة العربية. جامعة أم القرى. ١٩٨٥م.
٢٨. د. عبدالصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية. دار الاعتصام القاهرة.
٢٩. حسان محمد حسان: في فلسفة المدرسة الابتدائية في الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس, القاهرة, دار الثقافة للطباعة والنشر, ١٩٨١م
٣٠. أمين الخولي, من هدي القرآن, مشكلات حياتنا اللغوية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٨٧م
٣١. الجامعات وتحديات المستقبل مع التركيز على المنطقة العربية, عبدالله يوبطانة, عالم الفكر, مج ١٩, ع ٢٤, ١٩٨٨م
٣٢. "اليابانيون" أدوين راشاور. ترجمة: ليلي الجبالي. مراجعة شوقي جهلان, عالم المعرفة, ع ١٣, الكويت. أبريل ١٩٨٩م
٣٣. فلسفة القومية العربية. ماهر نسيم, المكتبة الدولية, ٩, دار المعارف بمصر. ١٩٥٩م
٣٤. د. زهير أحمد السباعي: تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية, نادي الشرقية الأدبي. الدمام ١٩٩٥م.
٣٥. محمود اسماعيل الصيني وسعد على الحاج بكرى: قصة الترجمة العلمية دراسة في آراء أساتذة الجامعات. مجلة العربي, نوفمبر ١٩٩٢م.
٣٦. دراسة أخرى للباحثين السابقين ولكنها استطلاع لآراء الطلبة تعريب العلوم في الجامعات دراسة في آراء الطلبة, مجلة التعريب, يونيو ١٩٩٨م.
٣٧. د. محمد حسن عبدالعزيز. التعريب في القديم والحديث, دار الفكر العربي, ١٩٩٠م.
٣٨. د. عبدالصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية, دار الاعتصام, القاهرة.
٣٩. د. عادل عوض: تعريب العلوم والحاسبات قضية حضارة ومصير, ص ١٣١, مجلة الوحدة. مارس, ١٩٩٣م, ع ١٠١-١٠٢, المجلس القومي للثقافة العربية, الرباط.
٤٠. د. محمد حسن عبدالعزيز: التعريب في القديم والحديث.
٤١. د. محي الدين صابر " المدير العام لليونسكو العربي" في حديث له لجريدة الشرق الأوسط عدد ١٢/١/١٩٨٢م, نقلًا عن د. عبدالصبور شاهين. الغربية لغة العلوم
٤٢. د. محمود أحمد السيد. إشكالية تعريب التعليم العالي, مجلة التعريب, ١٩٩٦م.

٤٣. محمد جابر الأنصاري: التعريب الجامعي وحتمية المقارنة الميدانية, ظاهرة تأجيل التطبيق: أربعة اعتبارات أساسية لحسمها. رسالة الخليج العربي, ع٤, ١٩٨٨م.
٤٤. محمد حسن عبدالعزيز, النحت في اللغة العربية, دار الفكر العربي, ١٩٩٠م.
٤٥. د. عادل عوض: تعريب العلوم والحاسبات قضية حضارة ومصير. مجلة الوحدة, ع١٠١-١٠١.
٤٦. د. عبدالسلام المسدي, مباحث تأسيسية للمثلى فى اللسانيات, تونس, ١٩٩٧م.